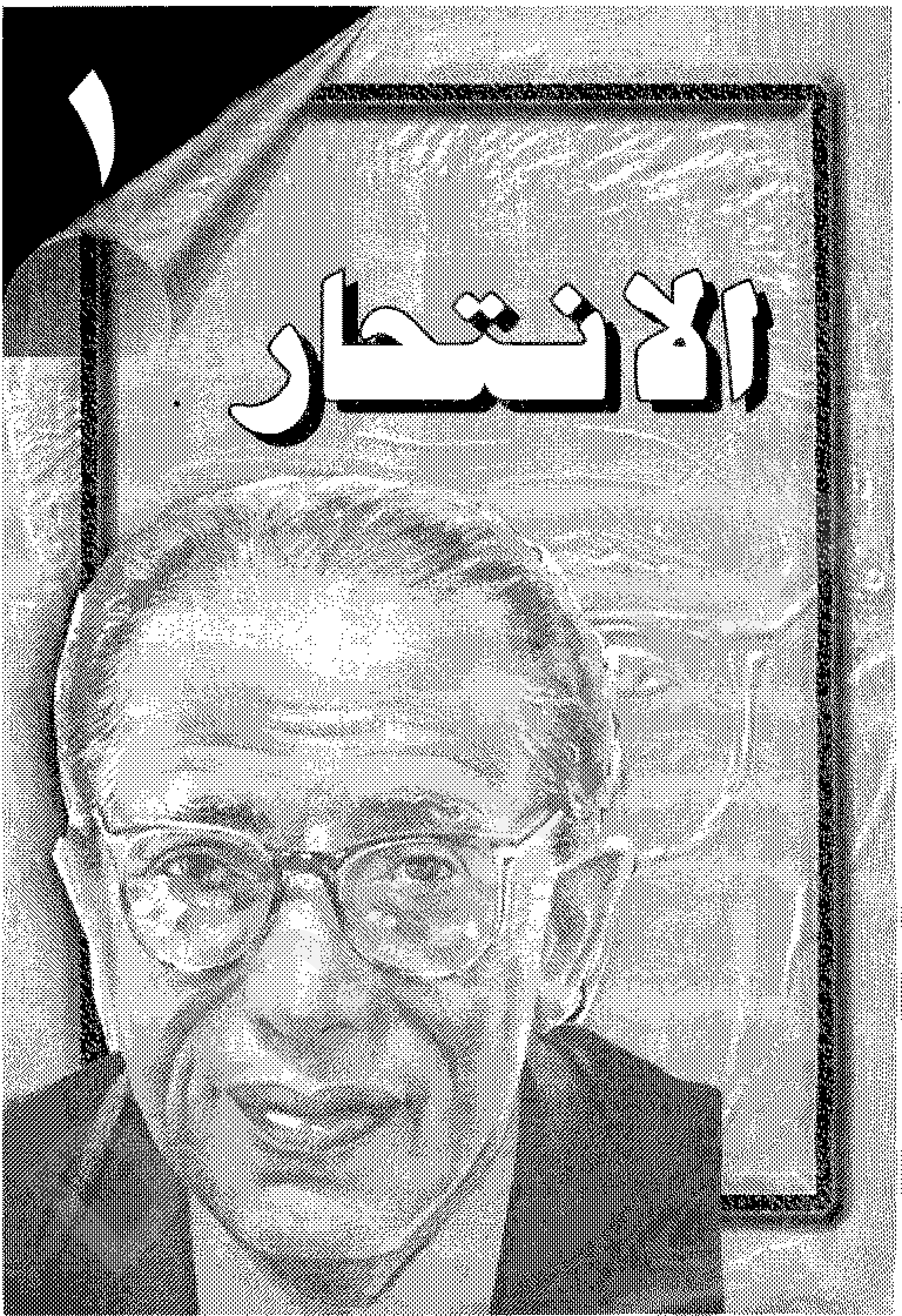

على
حافة
الانتحار
يوليو ١٩٩٦
د. مصطفى محمود


١
الانتحار

الهجمات الانتحارية فى داخل إسرائيل معناها.. أن الموت عند الفلسطينى أصبح أهون من ذل الاحتلال.. وهو تصعيد مرعب للصراع.. ولايدخل هذا الانتحار ضمن الإرهاب.. بل هو الفداء فى مواجهة المستحيل.

ولانستهين بأرواح أبرياء تزهق ولانتغاضى عن دماء تهدر بلاذنب ارتكبه أصحابها ولاندافع عن قتل عشوائى.. ولكننا أمام صورة لمأساة متكاملة لابد من النظر إليها من جميع جوانبها دون الاكتفاء بالتأوهات العاطفية.. فوراء نزيف الدم فى فلسطين هناك تاريخ طويل من المذابح والنسف العشوائى لبيوت الفلسطينيين والطرد والترحيل والتشريد واغتصاب الأرض وكل وسائل الضغط والارهاب والترويع من جماعات صهيونية هى بالفعل عصابات ارهابية محترفة تستمد السلاح والمال والمساندة المعنوية من أمريكا ومن الغرب الأوروبى.. وحينما جاء السلام بعد أربعين سنة من

القتل والتشريد وبعد تهجير أكثر من أربعة ملايين فلسطيني في أرض الشتات.. جاء سلاما ناقصا وغير عادل ومثقلا بالتشدد والقيود وفي حماية تهديد ذري غير مشروع وترسانة نووية زرعت في قلب الوطن العربي لاتجد لها الدول العربية ردا ولادفعا ولاتعرف لها وقاية.. فهل يستغرب أن يكتشف الفلسطيني الضعيف المقهور في نفسه القوة على تفجير نفسه في هجمات انتحارية.. هي الأخرى ليس لها رد ولادفاع ولاوقاية ليرد بها على هذا الترويع والتركيع الذي لايجد له حيلة ولايهتدي فيه إلى سبيل.

وماذا يجد الفلسطيني من الضمانات في عصر السلام.

إنه لايجد من الماء إلا ماتسمح به إسرائيل.. ولايصرح له بدق ماسورة في أرضه ليستخرج شربة ماء إلا بإذن.. وإسرائيل تسحب الماء من تحت أرض الضفة بمواسير وتقيم عليها نقاط حراسة وعساكر بالرشاشات.. وتفتح أو تغلق محابس الماء على الفلاح الفلسطيني كما تشاء.. وهي تحت دعوى السلام مازالت تستولى على المزيد من الأرض بمعدل ألف وخمسمائة فدان من الأرض الفلسطينية شهريا تضمها إلى أرضها وتبنى عليها المستوطنات الاسرائيلية والمعسكرات ونقاط التفتيش وتحاصر عرفات في جيوب لايستطيع أن يخرج منها أو يسافر خارجها إلا بفيزا وإذن وتصريح اسرائيلي.

وهو الرئيس الوحيد في العالم الذي لايحق له أن يتحرك في بلده إلا بإذن.

وقد وافق ياسر عرفات على هذا الصلح العجيب بعد مشوار مرير وتحت ضغوط دولية وأمريكية مرهقة.

وبالرغم من أن الوضع غير طبيعي بالمرة فقد طلبت أمريكا من جميع الحكومات التطبيع على هذا السلام.

كيف يمكن التطبيع على شيء غير طبيعي؟!!

وقالوا ان أصحاب الحق (عرفات والمنظمة) قبلوا.. فما دخلكم أنتم.. فقبلنا .. ثم أصبحت قاعدة.

وجرى على الكل ماجرى على الفلسطينيين.

في سوريا طلبوا نصيبا من الجولان السورية ونصيبا من المياه السورية وحقوقا للتفتيش على الجيش السوري والأسلحة السورية والنوايا السورية.. ومازالت المفاوضات تتعثر.

وفي الأردن أعطى الحكم الأردني الأرض وأعطى التسهيلات وأعطى نفسه وأعطى مستقبله.

شيء غير طبيعي تماما .

ومع ذلك يريدون منا التطبيع على هذا الوضع غير الطبيعي (أن يكون لهم إمكانية الهجوم ولا يكون لنا إمكانية الدفاع.. وكأننا بوسنة أخرى) .

ولكن معنى التطبيع Normalisation يعني العودة إلى التعامل الطبيعي.. في الوقت الذي لا يوجد فيه شيء واحد طبيعي .

كيف يمكن أن يكون هذا اتفاق بين أنداد.. وكيف يمكن قبوله وهو يتصف بكل هذا التعالي والغطرسة.. وكيف يساند العالم كل هذا الظلم.. وتؤيد أمريكا كل ذلك الجور .

وكلينتون مشمئز مما يحدث من عنف ودموية في الأرض المحتلة لأنه ينظر بالعين الإسرائيلية ويسمع بالأذن الصهيونية ويمسك بالميزان المائل الذي يقدمه له الكنيست .

وهو يقول لإسرائيل.. سوف نحارب معكم لفرض هذا السلام .

يحارب من ؟ !!

إن الانتفاضة الدموية هذا المرة.. انتفاضة أفراد.. وسوف يتحول الملايين الستة من الفلسطينيين إلى ستة ملايين قنبلة

موقوتة.. كل واحد قرر أن يموت فى مقابل قتل مائة إسرائيلى.. لايعرف أحد متى وأين ولا كيف .

وهى حرب لا تنفع فيها دبابة ولا طائرة ولا قنبلة ذرية ولا CIA ولا جيوش نظامية.. لأنه لا يوجد تنظيم.. وإنما يوجد فرد واحد لا أحد يعرفه.. لبس حزام ديناميت وقرر أن يصنع كارثة .

إنه ضمير يائس مُحبط قرر أن ينفجر فى الناس .

ماذا سوف تصنع أمريكا بالضبط لحصار هذا الهول .

إن العالم حولنا يموج بالعنف .

وفى إيرلندا عنف دموى وانفجارات مستمرة من سنين ولا يملك جون ميجور إلا أن يجلس للتفاوض.. ثم تتعثر المفاوضات.. فيعود الطرف المقهور إلى العنف لأنه لا يجد أسلوبا غيره يقنع به الطرف الغاصب .

والمقهور والمحتل فى كل مكان لا يسمى إرهابيا إذا حاول أن ينتزع حقه وأن يستعيد كرامته بأى وسيلة.. وحينما تفشل كل الوسائل السلمية لا يبقى أمام المظلوم سوى العنف .

وعلى أرض فلسطين هناك شعب طرد وشرد وقُتل وأُبيد وجربت معه كل وسائل التعذيب.. وبطول أربعين سنة من مباشرة المذابح والمجازر على الشعب الفلسطينى لم نر أحداً من الرؤساء الأمريكيين يشمئز لنزيف الدم الفلسطينى المستمر.. بل رأينا أمريكا تتوج هذا الظلم بقرار من الكونجرس تقول فيه للمغتصبين الظلمة .

« والقدس أيضا لكم عاصمة أبدية » .

وألقت أمريكا بهذا التحدى فى وجه ألف مليون مسيحى وألف مليون مسلم لهم مقدسات ولهم حقوق فى القدس أكثر من حقوق اليهود .

واحتج المسلمون واحتج النصارى.. واحتج بابا الفاتيكان.. ومضت أمريكا فى تحيزها الظالم ولم تعبأ بأحد.. ولم يشعر كلينتون بهذا التحيز الجائر وهو يعلن اشمئزازه منذ أيام من الهجمة الانتحارية لرجل حماس الذى أعلن بطريقته.. أنه يرفض الظلم.. وأن الموت عنده أهون من ضياع الأرض والكرامة .

وهى ليست صرخة بلا قضية.. بل هناك قضية بالفعل.. ولابد أن تحل بالعدل إذا أريد لنزيف الدم أن يتوقف .

أما اجتماع العالم كله على شعب ضعيف ومساندة الأمم المتحدة وأوروبا وأمريكا وانجلترا لإسرائيل لكسر ظهر الشعب الفلسطينى وفرض تسوية ظالمة بالشروط الإسرائيلية المجحفة فهو طاغوت وجبروت لن يصنع سلاما ولن يثمر حلا .

وأعود فأقول.. إن الجروح القديمة لا يمكن أن تغلق على صديد.. وإن سلام بلا عدالة هو استسلام وإهدار للكرامة لن يقبله أحد .

وإذا استمرت أمريكا على تحيزها وظلمها واستمرت الصهيونية فى تآمرها الفاجر على حكومات العالم فسوف ينفجر برميل البارود وتفتح أبواب الجحيم .

وسوف يدفع الجميع الثمن .

ولن تستطيع الترسانة الذرية أن تفعل شيئا.. فإن القنابل الذرية لا تستطيع أن تنسف أرواحا .

ولن تستطيع أجهزة التخابر أن تكتشف قلبا قرر صاحبه أن يموت .

ولا نحب العنف ونـرفضـه مـن جميع الأطـراف.. ولكن على الأقوياء أن يقوموا بـالخطوة الأولى التى تكفل العدالة للضعاف قبل أن يتباروا فى التهديد والوعيد .

وها نحن قد بدأنا بالملاينة والمهادنة واجتمعنا ثلاث عشرة دولة عربيـة فى شرم الشيخ مع كل أقطاب العالم نمد الأيـدى لإسرائيل بـالسلام ونبـذ الارهـاب والآن وقـد رضى القتيل.. فهل سيرضى القاتل.. ؟؟ !!

وهل تذوب أحقاد الألفى سنة .. ؟ !!

أشك فى ذلك.. وأرى الدمار على طول الطريق وها هى البشائر.. خمسمائة قـذيفة تنهمـر على الجنوب اللبنـانى أثناء مـؤتمر المودة والمحبة فى شرم الشيخ.. والبقية تأتى .

نهـاية عصر الحـب

ومن نزيف الدم فى فلسطين إلى نزيف من نوع آخر يوجع القلب ويؤذن بنهـاية عصر الحب والـوفاء وانهيـار لقيم الأسرة ولقـداسة الرباط الزوجى .

ويحدث هذا فى بريطانيا مسقط رأس روميـو وجولييت وعاصمة الغرام الأبدى الذى تغنى به شكسبير .

وجولييت الجديدة هى الأميرة ديانـا وروميو الجديد هو البرنس تشارلز اللذان بدأ زواجهما بعاصفة من الرومانسية وأكاليل الورد وعقـود البنفسج وانتهى إلى مسـاومـة على ثمن الطـلاق وأسعـار الانفصال .

جولييت ترفـض الخمسة عشر مليونا وتطلب ثلاثين مليـونا من الجنيهات الإسترلينية أى حوالى ستـة وأربعين مليون دولار بمعدل ١٤ألف دولار عن كل ليلـة زواج بالاضـافـة إلى الاحتفاظ بـالقصر الملكى لإقامتها وبالألقاب الملكية والوظائف الفخرية .

وقد اعترفت جولييت وفى هدوء عجيب أمـام عدسات التليفزيون بأنها خـانت زوجها لعـدة سنوات وأنها شـاركت عشيقها الفـراش وكانت تحبـه وتعبده.. وأن زوجها فعـل نفس الشىء.. وأنها كانت تعلم بعلاقته .

وكله مكسب .

لقـد كسبت الشهـرة بـزواجهـا وكسبت الملايين بطـلاقهـا.. وخـانتـه.. وعـربـدت واستمتعت.. ولم تخسر شيئـا.. حتى حمرة الخجل لم تظهر على خديها أمام مئات الملايين الذين شاهدوها على الشاشة الصغيرة .

وأخطر ما فى الموضوع أنها أعطت المثـال لشباب وشابات الجيل الجديد.. ومـن أعلى منصة.. من عـرش الملكية البريطـانية صـاحبة التقاليد العتيدة .

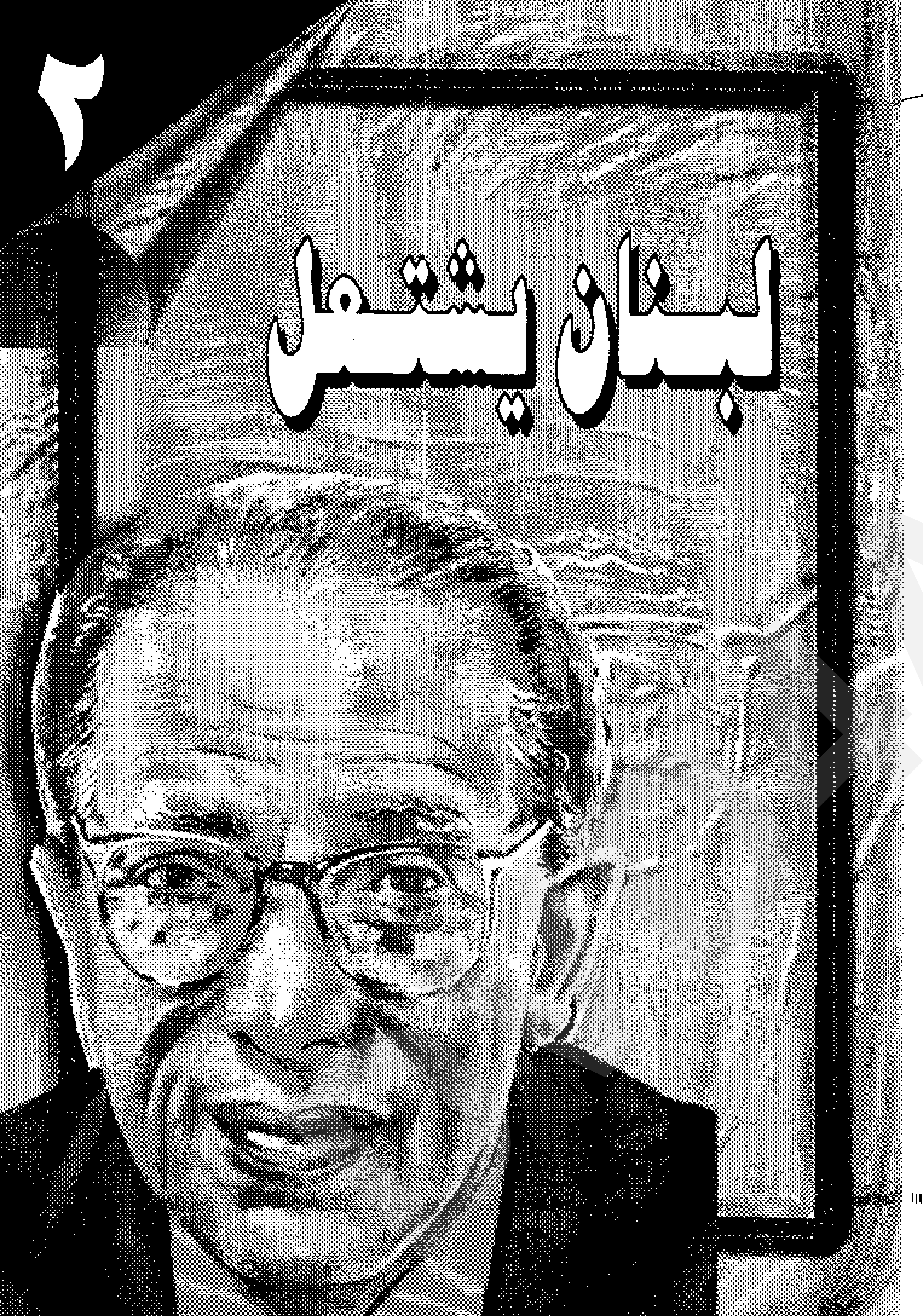
ولتحيا اللذة والفرفشة ولتحيا الملايين وليحيا العبث .

وليسقط الحب وليـذهب الحيـاء والـوفاء والـربـاط الأسرى إلى الجحيم .

حقا .. إننا نعيش عصرا جديدا لا نعرفه .

كيف توارت الفضائل فى خجل وكيف تسابقت الخيـانة الزوجية إلى مقعد الشرعيـة تتباهى وتتهتك أمـام الكاميرات.. ثم لا أحـد من الجمهور يستنكـر.. أو يرى عيبـا يدعو إلى مـؤاخذة.. بل قـالوا إن الأميرة ديانا قد كسبت شعبية أكثر بعد حديثها التليفزيونى .

وقـديما أهلك الله قـوم نـوح بكفرهـم وأهلك قوم عـاد بظلمهم وقـوم صـالح وشعيب بفسـادهم وغشهم فى الموازين وقـوم لـوط بشـذوذهم الجنسى ونجـد كـل هـذا يجتمع فى عصرنـا.. ويبث فى القنوات الفضائية ويعلنه أصحابه أمام الكاميرات ويتفاخرون به فى المجـالـس.. وتظهـر مجلات متخصصـة فى العـرى ومجلات



متخصصة فى الجنس.. وتتداول أقراص للنشوة ومخدرات لإطالة اللذة.. وكل هذا يباع على الأرصفة .

والله من أسمائه .. أنه الصبور .

الشـيخ محمـد الغـزالى

رحل عنـارجل كـان أمة.. هـو الشيخ والإمـام والفقيه الإنسـان محمد الغزالى.. وترك فراغا لا يستطيع أحد أن يملأه .

وكما تغيب الشمس وتأخذ الظلمة بجماع القلوب هكذا كان خبر وفاتـه بالنسبـة لى فقد كـان أخا ووالـدا ومعلما ودليلا إلى الخير.. وكان يحب الإسـلام بهوى قلبه ويبكى لما يجرى على المسلمين من ويلات كأنهم فلذات كبده .

وكان ودودا ، رفيقا ، وديعا ، خيرا.. ونورا فى ليل هذا الزمان .

وبموته رفعت رحمة كانت تشملنا بحمايتها.. وغدونا أيتاما .

ومن قبل ذلك رحل عنـا صوت مدو للحـرية كنـا نحبه ونجتمع حوله هو خالد محمد خالد واشتد بنا ظلام الوحدة .

وجاءتنـا الأخبار بصقيع تتجمـد له الأطـراف وظلم يلف العالم ويخيم على كل أرض تعلو فيها همسة لا إله إلا الله .

وصـوت الحادى يقـول.. تجمعـوا.. اتحدوا.. إلـزمـوا الصف.. ونحن نتفرق.. ونتباعد.. ولا حول ولا قوة إلا بالله .

لقد وقعت إسرائيل فى خطأ قاتل حينما ظنت أن السلام مع لبنان يمكن أن يأتى بالإكراه وبقنابل الطائرات.. وليس صحيحا أن ماتخشاه إسرائيل من لبنان وسوريا هو حزب الله.. وإنما إسرائيل تنظر إلى بعيد.. إلى حلمها بأن تحكم الشرق الأوسط اقتصاديا وتجاريا.. وهى تعلم تماما أن لبنان وسوريا هما أباطرة التجارة وملوك السوق وأن المنافسة أمامهما لن تكون سهلة وأن المهارات اللبنانية والسورية لن تنهزم أمام الذكاء اليهودى وأن اللبنانى والسورى أشطر من اليهودى وأقرب إلى قلوب الإخوة العرب وهم يعلمون فى الغرب أن بيروت هى الملجأ الآمن للثروات العربية المهاجرة.. ويعلمون أن بنوك بيروت وبورصة بيروت هى الوعاء المفضل الذى تصب فيه فوائض المال العربى وأمريكا لاتريد للمال العربى مقرا ولا مستقرا سوى بنوكها وإسرائيل تريد أن تهدم هذه الكعبة اللبنانية الجاذبة للمال والمسيطرة على التجارة

وتريد تخويف أصحاب رؤوس الأموال ومنعهم من الاقتراب من بيروت.. ولهذا تلجأ الى سلاحها الأخير.. محاولة حرق الأرض اللبنانية ودك البنية الأساسية للشعب اللبنانى بالطائرات.. وهى بذلك قد أخطأت مرتين.. فهى قد زرعت الكراهية والعداوة والشر.. وهى ثانيا قد خسرت السلام إلى الأبد.. وأكثر من ذلك قد أعطت المثال لكل الجيران العرب الذين صدقوا السلام وأمنوا الى وعود إسرائيل بأنهم لن يحصدوا من هذه الصداقة الإسرائيلية إلا المر والعلقم.

ونسيت إسرائيل أن قنابلها التى تطارد أهل الجنوب اللبنانى وتسوقهم أذلاء مشردين هى نفسها التى سوف تخلق فيهم البطل والمقاتل والفدائى الذى لن يعرف للسلام اسما ولن يرى له معنى قبل أن يصرع هذا المسخ الكريه الذى اسمه.. إسرائيل.

نعم.. إن اسرائيل تصنع من العرب الودعاء المستسلمين أبطالا دون أن تدرى.. وهى تؤكد فى وعيهم صيحة القرآن:

« خذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد » (٥ ـ التوبة).

« واقتلوهم حيث ثقفتموهم واخرجوهم من حيث أخرجوكم » (١٩١ـ البقرة).

« قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين » (١٤ـ التوبة)

« وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة » (٣٦ ـ التوبة).

وإذا كنا لا نملك كدول وسائل هذا القتال المتكافىء الآن.. فإننا نملك تلك الوسائل كأفراد.. والعجز سوف يخلق الارهاب.. ولن تعرف إسرائيل طعم الأمان.. ولا طعم النوم الهنىء بعد اليوم.

وإسرائيل وقعت فى التناقض مع نفسها فهى قد خلقت الارهاب فى جميع خصومها من حيث أرادت السلام.. وهى قد حفزتهم إلى

الانتقام من حيث أرادت أن تحثهم على التنازل والتسامح والتفاهم.. وهى تمضى فى طريقها للتناقض مع النفس أكثر وأكثر.

وإذا كانت قد كسبت الى صفها حكام العالم بالمكر وبالمصالح الانتخابية وبالرشاوى لبعض الوقت فإنها قد استفزت شعوب العالم إلى نفور وإلى اشمئزاز سوف يتراكم طول الوقت ثم ينفجر انفجارا غير محسوب.

والشعوب فى الغرب لها صوت أعلى من صوت شعوبنا.. ولها فعالية أكثر من فعالية شعوبنا.. لأن الديمقراطية عندهم لها حضور أكبر وفعل أكبر.. والمستقبل سوف يتحرك فى اتجاه مضاد لما ترسم له القيادات الصهيونية.

ولأن إسرائيل تدرك هذا كله. فإنها تريد أن تنتهى من الموضوع كله بسرعة.. وتخطط لنصر سريع يبدل التاريخ لصالحها وينشىء واقعا جديدا على الأرض يستحيل تغييره.. ولا بديل أمامها غير هذا التسريع للحوادث.. لأن امتداد الزمن ليس فى صالحها.. ولأنها تستطيع أن تخدع العالم بعض الوقت ولكنها لاتستطيع أن تخدعه طول الوقت فالمكر السيىء لا يلبث طويلا حتى يفتضح.. والرائحة النتنة لأفعالها لن تلبث حتى تغدو إحساسا عاما.

ولهذا أقول إن هذه التمثيلية لن تطول.

وسوف نفيق على حقيقة نسيناها جميعا اسمها.

العدو الإسرائيلى

إن كلمة العدو الإسرائيلى اختفت من لغة التخاطب الرسمى لجميع الدول العربية.. وكان هذا الاختفاء مثل دفن الرؤوس فى الرمال فالعدوان مستمر ولم يتوقف.. والقنابل تتساقط فى هذه اللحظة على رؤوس اللبنانيين فى الجنوب وفرقعات الرصاص تدوى

فى القرى الفلسطينية وركام البيوت المهدومة ينهار وسط سحب الغبار وطوابير اللاجئين وفلول المشردين تجرى مرتاعة هنا وهناك.. وحصار التجويع مضروب على الأخوة.. إنها حرب معلنة.. ولا أحد ينطق بكلمة العدو الإسرائيلى.. ولا تظهر هذه الكلمة فى بيان حكومى رسمى.. وإنما يتكلم الكل عن سلام وهمى ويتصافحون عبر أجهزة الاعلام فى تكلف بغيض.

اختفت كلمة الجهاد من القاموس.

ونفهم أن المخاطرة غير واردة فى ظروف غير متكافئة.. والإقدام على حرب مع إسرائيل بدون استعداد وفى مواجهة تأييد أمريكى وغربى بل وروسى أيضا لهذا العدوان الإسرائيلى هو انتحار لا أحد ينصح به.. ولكن اصطناع الصداقة والتكلف الرسمى لحسن العلاقات هو أيضا شىء مبتذل غير مفهوم. وخداع للنفس مقيت.

والتعمية على الخطر الإسرائيلى أمر غير مطلوب.

وقبول السلام بشروط إسرائيلية لن يصنع سلاما.

كما أن الخضوع والاستسلام واستبعاد المواجهة تماما بحجة التنمية ليس عذرا فطائرة واحدة فى غارة يمكنها أن تدمر البنية الأساسية فى أى عاصمة وتنسف التنمية من أساسها وتعود بالمجتمع مائة سنة إلى الوراء وترفع الديون إلى مئات المليارات.. هكذا فى ساعات.. وقد فعلتها إسرائيل فى لبنان وبدون أن تعلن عليها لبنان حربا.

إن الخطر حقيقى.. والعداوة حقيقية.. وكما ذكرنا من قبل.. هى فى توراة هؤلاء الناس وفى عقائدهم وفى دمائهم.. وإسرائيل دولة يهودية وليست دولة علمانية.. إنها «موعود» التوراة بالنسبة لهؤلاء الناس.

وعلى الحكومات العربية أن تنظر إلى الموضوع نظرة واقعية

فالمواجهة قادمة لامحالة.. ولا نملك أكثر من تأجيلها. ونظلم أنفسنا إذا كذبنا على أنفسنا.. ونضلل شعوبنا إذا أخفينا عنها تلك الأخطار.. والاستعداد لهذا اليوم واجب .

نفاوض.. نعم.. ولكن نستعد ونتسلح.. يد تصافح واليد الأخرى على الزناد كما كان يقول رابين..

ونتكلم عن السلام ونستعد للحرب كما يفعلون. وهو أمر مكلف. ولكن هذا قدرنا.

واذا كان الله قد أراد لنا «ذات الشوكة» و(قرآننا يقول هذا) فلا مهرب.

ومصارحة الشعوب بالحقائق أفضل من تنويمها وتخديرها بالآمال.. ونجوع بعض الشىء ولا نتشرد وتنهدم علينا بيوتنا.

وتطوير الدفاعات الأرضية وصواريخ أرض جو والصواريخ المحمولة على الكتف لمواجهة الطائرات المقاتلة الحديثة المزودة بأجهزة التشويش الرادارى هو أمر لابد منه.. ويجب أن نبدأ فيه من اليوم.. بل من الآن.

إن تنويم الشعوب على هدهدة السلام الكاذب غلطة فى حق جيلنا وفى حق الأجيال البريئة القادمة.

مطلوب صحوة عسكرية

ولن نبدأ بقتال أحد.. ولا نريد قتال أحد.. ولكننا بنفس القدر لا نريد أن نؤخذ على غرة.. ولا نقبل باقتحام طائرة معتدية لحدودنا تخرج بعد ذلك من مجالنا الجوى سالمة.

والتسليح سوف يأخذ من لقمتنا.. ولكن هذا أفضل من أن يأخذ الأعداء من أرضنا وبيوتنا وشرفنا ومستقبلنا.

نريد إعلاما أكثر جدية وتليفزيونا أكثر صحوة وصحافة أقوى نبضا فى الدواهى التى تحيط بنا.

إن صداقة شيراك لم تنفع لبنان.. ولبنـان الديمقراطية العلمانية لم تجد عونا من الغرب العلمانى.. وهم جميعا لم يعبأوا بنا.

نحن فى عـالم لا يحترم إلا القوة.. فلنكـن أقويـاء لا مستسلمين ودعاء.

كفى استرخاء..

إن الاسترخاء قتل أرواحنا وأمات قلوبنا.

إن الطائرات المقـاتلة الإسرائيلية تـزأر فى سماء عاصمة عـربية حبيبة.. بينما تمرح فى أجوائنا الطائرات الشراعية..

نقول جميعا.. لا.. لهذا التطبيع.. لا نشترى ولا نتاجر مع قتلة.. ونعود الى قرار المقاطعة.. ونقف معـا كلنا كأصحاب مصير واحد.. ونستعد للأسوأ.

وإن لم نستطع أن نفعل هـذا.. فلنبك على مستقبلنا فقـد حكمنا على أهلنا بالتشرد وعلى أبنـائنا باليتم وعلى نسائنـا بالامتهان وعلى أرضنا بالضياع.

إن الزمن يجرى. والموت أقرب إلى الكل من حبل الوريد..

والصدمات التى نتلقاها كل يوم تحيى الموتى فمابال الأحياء.

ونحن أحياء على ما أظن..

أليس كذلك..؟!!

وهـــذا العبث

وماذا يجرى فى أفغانستـان.. ماذا يجرى على هذا المسرح العبثى العجيب..؟؟!!

المجاهـدون الذين انتصروا على روسيـا وقهروا الآلة العسكـرية الـروسيـة العمـلاقـة وحـرروا بلـدهم.. كيف انقلبـوا على أنفسـهم ونكسوا على رؤوسهم.. وأخذوا يوجهـون الرصاص الى صدورهم ويفجرون القنابل فى بيوتهم.

ماذا حدث..؟!!

من الـواضح أن المال الأمريكى الـذى أنفق على تجميع وتسليح تلك العصـابة بـدأ ينفق أخيرا وبسخاء لتفـريقها وتمزيقهـا مزقـا وشرائم.. والمحـركون لـلأحداث اتجهت نيتهم إلى حـرمان الأفغـان من ثمار نصرهم وإلى أكثر من ذلك.. تصفيتهم.. وبأيديهم هم.

وكـانت المهمـة سهلـة لأن روح القبيلـة والتنـازع على الغنـائم وشهـوة الـدنيا غلبت على هـؤلاء المجـاهـدين فأصبحت كل قيـادة تقـاتل من أجل مصـالحهـا وأطماعها فى الحكم.. وبـذلك أصبح من السهل الإيقـاع بها جميعا فى مستنقـع الصراع على السلطة.. وكـان ذلك أفضل بالنسبـة للمخرجين وراء الكـواليس.. أن تتمزق الـراية الإسـلامية بأيـدى المسلمين أنفسهم.. بأيـدى حكمتيـار وربـانى وسياف وشاه مسعود.. حتى لا تبقى بطـولة ولا أبطال.. ولا مزاعم بأن الإسلام كان له فضل فى شىء.. أو أنه يصلح لأى شىء.

وهكـذا ارتدت شـوكة هـؤلاء المقـاتلين وبالا عليهم.. ورأينـاهم يقاتلون بعضهم بعضا وبنفس الشراسة ورأينا ذلك المسرح العبثى العجيب الذى لا ينفض إلا ليبدأ.

واستمـر هذا الاستنـزاف سنوات بـدون جدوى.. حتى خـارت قوى الجميع وبدأ يغلب عليهم صوت العقل.. وبدأوا يتفاوضـون.

ولكن صحـوة العقل كانت غير مطلـوبة.. بل كـان المطلوب هـو التصفية الكاملة لهذا الدين والمقاتلين فى سبيله.

واتجه المال الأمريكى بمعونة الحليف الباكستانى إلى تبنى فريق يشعل الجنون من جديد هم «الطـالبان» وهم طلبة الشريعة الذين يقولون أنهم وحدهم حملة لواء الأصولية الإسلامية.

وكان أمـرا عجيبا أن يدخل هـذا الجيش من الفقراء الحرب بين يـوم وليلة مسلحـا بالمدافع والـدبابـات وأكثر من عشرين طـائرة

مقاتلـة.. من أين جاءهم ذلك السلاح.. ومـن أين تدفقت عليهم تلك الملايين من الدولارات؟

مـرة أخـرى.. هم المخرجـون وراء الكـواليس الـذين أرادوا أن يشقـوا الصف الذى أوشك أن يلتئم.. فأغـدقـوا المال بلا حسـاب وألقوا فى آتون المعركة بالأسلحة بلا حدود.

وحاصرت قـوات الطالبان كـابول وأمطـرتها بوابل من النيران.. وامتد الخراب الى كل شارع وسقط قتلى من المدنيين بلا عدد.

وظهرت كتائب من «الطالبان» على شاشات cnn.

وفى حوار مرسوم بعناية.. سأل المذيع أحد المقاتلين ماذا يريد.. فأجـاب المقاتل وهـو طـالب شريعـة: نريـد العـودة إلى الأصوليـة المحمدية.. نريد أن نعيش كما كان يعيش السلف الصـالح.. مدارس البنـات تغلق.. لا تعليم للبنات.. والإذاعـة لا تـذيع سوى القـرآن.. وأجهزة التليفـزيون تجمع وتـدمر (ورأينـا فى المشهد أكـواما من أجهـزة التليفـزيـون مجمـوعـة لتـدميرهـا).. الموسيقى حـرام.. الموسيقى الوحيدة التى يسمح بها الإسـلام هى طبول الحرب وما عدا ذلك كفر..

وتكررت إذاعـة هذا الحديـث فى الـCNN عدة مـرات كل يوم وكأنما عثروا على تحفة.

فمن أجل هذا الكلام المذاع على العـالم أنفقوا على هؤلاء الشباب الصغار وسلحوهم بالدبابات والطائرات وأطلقوهم ليدمروا بلادهم وليفسدوا فيها..

وعلى لسـان هؤلاء الحمقى قـالـوا كل ما يـريـدون.. فهذا هـو الإسلام.. وهـذه هى الأصـولية المحمديـة.. الجهل والحقـد وتدمير الحضـارة.

الإسلام ضـد العلم.. الإسلام ضد المرأة.. الإسـلام ضد الفن.. الإسلام ضد الأمن والأمان.

ولم يدرك المشاهد.. أن وراء هذه المسرحية العبثية إخراجا متقنا وأموالا تغدق وعقولا تخطط للتضليـل والتشويه.. وأن ما يحدث فى أفغانستان لم يكـن أمرا تلقائيا.. وإنما كـان ذكاء شريرا يهدف الى بعيد.

لقـد اختـــاروا كتيبـة من الأولاد الجهلـة ووضعـــوا فى أيـديها الكلاشنكوف والقنابل والمتفجرات وصنعـوا منها إعلانا مجانيا عن الإسـلام كما أرادوا أن يظهروه للعالم.

وغاب عن عقـول هؤلاء الصغار الـذين رفضوا التليفزيـون لأنه اختراع الكفرة أنهم قد عانقـوا الكلاشنكوف والمورتار رغم أنها هى الأخـرى اختراعات الكفـرة.. وأنهم نـاقضـوا أنفسهم.. ومـاكانـوا ليفتوا فيما لايفهمون.

ولكنها مسرحية عبثية تنفق على إخراجها الملايين بل المليارات.

وهم ينفقـون بكل هذا السخـاء ليـؤلبوا العـالم على كل ما هـو إسـلامى.. وليشعلـوا المعارك والحروب والنـزاعـات فى كل مكـان ولوقتل فيهـا الألوف وسـالت الدمـاء.. وحفرت القبـور الجماعية.. وانهار اقتصاد الشعوب.

والذى يشك فى كلامى.. عليه أن يجيب على هذا السؤال البسيط:

كيف امتلكت كتائب الطـالبان (وهم طلبة الشريعـة الفقراء) بين يوم وليلة المدافع والدبابات والطائرات والصواريخ والذخائر؟؟!!

كيف يستمر الفقـراء الحفاة ثـلاث سنوات فى حرب بـالأسلحة المتطورة والـدبابـات والطائرات.. دون أن يكـون هناك ممـول يمد هذه النار بالوقود؟

من أيـن لهم بهذا المدد .. ومن أين لهم بهذا المال؟ إن الـــدول لاتستطيع بهذه السهولة أن تحصل على مثل تلك الأسلحة.

إنها أموال هائلة تتدفق من خارج أفغانستان لإشعال النار كلما خبت.

روسيا تدفع بالأسلحة لتنتقم لما أصابها من عار الهزيمة على يد الأفغان.. والمال الأمريكى يتدفق.. والمكر الصهيونى الذى يريد أن يكسر شوكة الإسلام فى كل مكان.. والخوف القديم من الإسلام الذى وصل إلى بوابة أوروبا وأسقط أمبراطورية الروم والفرس.. وأحقاد ألف عام.. وصوت نيكسون القادم من القبر.. فرغنا من الشيوعية ولم يبق لنا عدو سوى الإسلام.

ولقد رأينا فى بلدنا أموالا مماثلة تتدفق من الخارج لعمليات تخريب وإرهاب تحت مزاعم مشابهة وبدعوى تنفيذ أحكام الله وشرع الله فى الأرض يتبناها شباب جاهل بدينه لا يعرف من القرآن إلا آية واحدة «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» وفى صيغة أخرى هم الظالمون.. وفى صيغة ثالثة.. هم الفاسقون.. وهى آيات نزلت فى قوم من أهل الكتاب يحرفون الآيات ويقولون على الله ما لم يقل ويكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون هو من عند الله.. ومع ذلك هم حملوا تلك الآيات على الكل وراحوا يكفرون بها الكل.. من آمن ومن لم يؤمن.. ونصبوا أنفسهم قضاة على الناس يحكمون بالإعدام عند أى شبهة.. وأكثرهم أولاد ليس عندهم فقه ولا علم ولكن عندهم تكليف بالقتل.. ومن ورائهم عصابات مأجورة.. وهم لا يختلفون عن ذلك الفتى من « الطالبان » الذى يقول إن الموسيقى حرام وإن كل ما عدا طبول الحرب كفر.

وهؤلاء الأولاد لا يعبرون عن الإسلام ولا يعرفونه وإنما يعبرون عن الذين استأجروهم وكلفوهم ومولوهم.. يعبرون عن أعداء الإسلام الحاقدين الذين لايريدون بالإسلام إلا الزوال من الأرض.

والإسلام غير هذا الهراء الذي يرددونه.. وهو دين رحمة ودين

عفو ودين مغفرة ودين يوسع على الناس ولا يضيق عليهم عيشتهم وهو دين علم ودين تقدم ودين حضارة.. والله يقول فى حديث قدسى.. لو لم تذنبوا لأتيت بمن يذنبون ويستغفرون فأغفر لهم.. ويقول للمذنب.. لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا لا تشرك بى شيئا لأتيتك بقراب الأرض مغفرة.. ويقول فى كتابه الكريم.. «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله.. إن الله يغفر الذنوب جميعا».. « فأنيبوا إلى ربكم ».. وهو يفرح بذلك العبد المنيب الأواب التائب فرحة البدوى بناقته الضالة يعثر عليها فى الفلاه..

وهو دين علم.. أول ما نزل من آياته.. «إقرأ» والله يقول فى قرآنه أنه يرفع الذين أوتوا العلم درجات..

والله عفو كريم يلتمس لنا الحسنة ليمحو بها السيئة فيعفو عن الخاطئة التى أطعمت قطة وعن المذنب الذى سقى كلبا.. ويدخل الذين بكوا من خشيته الى الجنة.

ورحمة الله وسعت كل شىء.. وهو يقول جل من قائل.. « ورحمتى وسعت كل شىء ».

وذلك هو الإسلام ورب الإسلام.

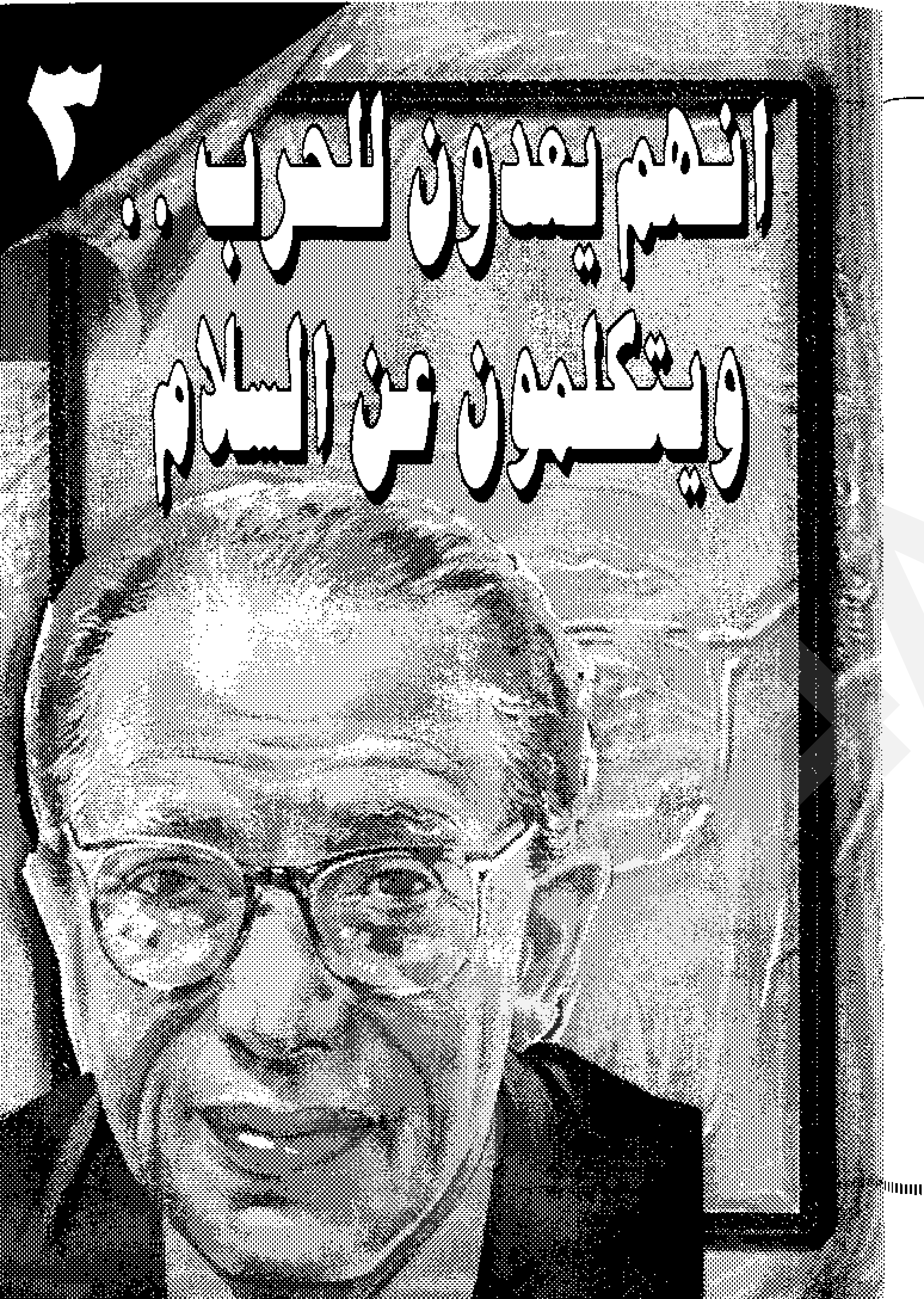
ولكن للإسلام أعداء يريدون طمس هذا الوجه المضىء وإخفاء هذه المبادىء الرفيعة وتقديم الإسلام من خلال أيد مجرمة تقطر دما وعقول مغلقة تقطر غباء وهم ينفقون فى سبيل ذلك كل غال وثمين..

مليارات تنفق بسفاهة من أجل هذا الهدف..

وصدق الله العظيم.

« فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون»

(٣٦ ـ الأنفال).



هكذا تقول الآية وكأنما أنزلها الله لأيامنا هذه..
وكأنها تخاطبنا.
«والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون »
(٢١ ـ يوسف)
وأكثرهم بالفعل لا يعلمون.

ما يجب أن نفهمه ونعيه تماما أننا لسنا مقبلون على سلام مع إسرائيل وإنما نحن مقبلون على مواجهة.. فالواقع الذى نراه يخالف الأحلام التى تغرقنا فيها شعارات السلام.. وما يحدث فى إسرائيل يخالف التصريحات التى تخرج على لسان ساستها.. وسلام الرعب الذى تبثه إسرائيل عن طريق ترسانتها النووية وتحالفاتها الدفاعية مع تركيا لحصار المنطقة واندفاعها المستمر نحو المزيد من التسلح ونبرة الاحتشاد والتهديد والاستنفار ووضع الاستعداد الذى تتخذه طول الوقت كأنما تقف على أطراف أصابعها كل هذا يثير فى المواطن المصرى حالة توتر مستمر ورفض لأى ذكر لتطبيع وأى تقبل ومعايشة.

ووضوح هذه الرؤية فى هذه المرحلة التاريخية مطلوب.. حتى يأتى الفعل السياسى مناسبا للواقع.. وليس تطمينا وتهدئة بينما البركان يغلى من تحتنا.

والإعلام السليم والمثمر هو الإعلام الذى يعكس الواقع ولايغرق فى الأحلام ولايغنى مع الأمانى والشعارات.. ولا يرقص فى محافل من الطبل والزمر ومن تحته براميل البارود.

والترويح مقبول ومرغوب والترفيه وارد دائما ولكن ليس لدرجة الاسترخاء والنوم فى العسل.

وأمام ما تأتينا به الأخبار من تهديدات نقلا عن وكالة رويتر.. وما تقوله منظمات يهودية مثل «كاهان شاى» وغيرها فى نشرات متكررة.. حياة المسلمين فى أيدينا أينما كانوا.. ونحن نحذركم أيها المسلمون.. إن حياتكم فى أيدينا مثل حياة الشاه بين يدى الجزار.. وستلقون حتفكم على أيدينا..

كل هذا الحقد والهوس فى خلفية المشهد التفاوضى الذى يتصافح فيه الأطراف ويتبادلون البسمات الباهتة.. بينما الدماء تغطى وجوه الأبرياء فى قانا.. والقنابل تنفجر فى المرافق الحيوية فى قلب بيروت..

هذه الصورة يجب أن تصل الى المواطن بكل مافيها من أبيض وأسود وأضواء وظلال دون تجميل ودون أن نضع لها الأطر التى تخفف منها.

هؤلاء الناس قتلوا رابين لأنه لم يكن عدوانيا بما فيه الكفاية.. وهو الذى اشتهر بتكسير عظام أطفال الحجارة.. وهم أنفسهم الذين قتلوا المصلين الركع السجود فى الحرم الإبراهيمى.. وساعدتهم الحكومة فى إقامة ضريح ومزار للقاتل الجبان باروخ جولد شتين.

إننا نواجه روحا عدوانية يشجعها ويساندها جبروت أمريكى وتأييد أوروبى وعالم يتفرج فى سلبية عجيبة.

ولاتوجد مبررات لأى تخاذل.. فالمواجهة قادمة.. وعلينا أن

نبنى سياساتنا واقتصادنا وتحالفاتنا وعلاقاتنا وارتباطاتنا على أسوأ تلك الاحتمالات.

وعلينا أن نستعد.. ولانضع كل احتياطياتنا فى سلة التنمية.. فغارات ليلة واحدة يمكن أن تعود بتلك التنمية مائة سنة الى الوراء.. وعليها خسائر بمئات المليارات..

علينا أن نخصص جانبا من دخلنا للدفاع

والله موجود وقادر وسوف ينصرنا.. ولكن علينا أولا أن ننصره وننصر أنفسنا..

والله يعلمنا فى آياته أنه يؤيد رجاله المختارين بالأسباب وينصرهم بالأسباب .. ويقول عن ذى القرنين.. ﴿ إنَّا مكنا له فى الأرض وآتيناه من كل شىء سببا فأتبع سببا ﴾

(٨٤ ـ الكهف)

وقد جاءه التمكين بإيتاء الأسباب ولم يأته «بكن فيكون» والله قادر على ذلك.. وقادر على النصر بالأسباب وبدونها.. ولكن الله يعلمنا ويلفت نظرنا إلى أهمية تحصيل الأسباب.

والغرب سبقنا بالتفوق علينا فى تحصيل الأسباب.. وما الترسانات النووية والميكروبية والكيمائية إلا أسباب مكنه الله فيها فأسرف فى استخدامها وجاوز الحد وبلغ غاية الفجور والاستخفاف.. والله يمد لهؤلاء الناس ليزدادوا إثما.. وليحق عليهم القول وليحق عليهم العقاب.

وتلك سنن يعلمها من يقرأ التاريخ.. ومن يقرأ آيات الله فى الأقوام الغابرة ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم ﴾ .

القرآن يحضنا على السياحة والتجوال ومشاهدة آثار الأمم السابقة.

وهى سياحة غير السياحة الفندقية اللاهية التى نعرفها.. إنها السير والنظر والتأمل واستقراء التاريخ واستحضار العبرة من الأقوام الذين بادوا.. ولماذا بادوا.. وكيف بادوا.

وبين ظهرانينا جبابرة آخرون سوف يلحق بهم نفس المصير وسوف يبيدوا حينما يأتى ميقاتهم وتتراكم مظالمهم وسيغدون آثارا وأطلالا.

فهل يعتبر ظالمو اليوم بما حدث لأشياعهم بالأمس؟!!

لا أظن.. فإن حجاب الغفلة وبهرج الدنيا ينسدل على عقول الجميع والكل يعيش فى غيبوبة الأنا. وصفقة اليوم.. وسهرة هذا المساء.. وكيف أسبق غيرى إلى الغنيمة.. وكيف أزيح الآخر.. وكيف أدوس عليه قبل أن يدوسنى.

ومنجل الموت يحصد الأرواح ولا نلحظ الذين يتساقطون أمامنا فى الطابور. وننسى أن دورنا قادم.

والكل ينسى.. !!

ومشكلة الكل منذ آدم.. أنه ينسى..!!

أنواع أخرى من الحرب

والكثير من الذين يكتبون عن المواجهة القادمة بيننا وبين اسرائيل يستبعدون أن تلجأ إسرائيل إلى الصدام العسكرى وإلى القتال الجهير ويقولون بأنواع أخرى من الحرب.. مثل حرب التفتيت وإثارة الطوائف بعضها على بعض وحرب الإفساد ونشر الفتن وحرب الاقتصاد والإفقار والتجويع.

والمثل الذى يسوقونه هو ما فعلته المخابرات الأمريكية فى أفغانستان.. شراء الذمم وإثارة القبائل بعضها على بعض وضرب القيادات بعضها ببعض.. وتدمير كابول بأيدى أهلها وتفتيت

الجبهة الواحدة إلى عدة جبهات تقاتل بعضها بعضا وتفنى بعضها بعضا.

ونفس الشىء تكرر فى القوميات الإسلامية التى حاولت الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفيتى.. اذربيجان.. وطاجيكستان.. وكازاخستان.. وغيرها.

ونفس الشىء حدث فى كشمير وفى نيجيريا وفى السودان.

ونفس الشىء حدث فى الصومال.. ومازالوا يدفعون بالميليشيات المسلحة هناك..

ونفس الشىء حدث فى تفتيت يوغوسلافيا وتقسيمها بين الصرب والكروات والمسلمين.

والمسلسل مستمر..

وما يقولونه يحدث الآن بالفعل من حولنا.. وهى حروب أسوأ من الصدام العسكرى الصريح والقتال المعلن والجهير.. وإسرائيل تباشر هذا اللون من الحروب منذ ولدت ومنذ قامت على أرض فلسطين إلى اليوم.

ولاتنفرد الأيدى الإسرائيلية بتلك العمليات القذرة وإنما تشارك فيها بالمال وبالخبرة وبالسلاح وبالجواسيس.. الحكومة الأمريكية بكل ثقلها.. وانجلترا وبعض دول أوروبا.

والمصالح هى الحافز والدافع لهذه العصابة.

والشرق الأوسط بكنوز الطاقة فيه وخاماته وثرواته وشعوبه المتخلفة هو مطمع الكل وهدف الكل.

ولا أظن أننا اختلفنا كثيرا.. فما يحدث حسب كلامهم هو بالفعل مواجهة وليس سلاما.. بل هو أسوأ أنواع المواجهة.. فهو تفتيت وتخريب وإفقار تحت مظلة اسمها الصداقة.. وهو نوع من الحرب الخبيثة التى لا تسمح لنا بالدفاع ولا تفتح لنا بابا إلى خلاص.

وأصحابنا ولاشك يرسمون لنا صورة أكثر خطورة.

وهى صورة أدعى إلى رفض هذا السلام الكاذب.. والتعامل مع ما يحدث بصيغ أخرى أكثر جدية.

إن الطائرات الإسرائيلية تضرب جزيرة حنيش والقوات الأرترية تحتلها بهدف السلام.. وإسرائيل تضرب الجنوب اللبنانى وبيروت بالصواريخ والقنابل لمدة ستة عشر يوماً بهدف إحلال السلام.. وعلى سوريا أن تعلن رغم هذا العدوان أنها متمسكة بالسلام وأنها تسعى إلى السلام.. وعلى كل العواصم العربية أن تجدد تعهدها بالسلام وتؤكد تمسكها بالسلام.. وينشط وارين كريستوفر فى حركة مكوكية كلما حدث عدوان إسرائيلى ليؤكد دور أمريكا فى حفظ السلام وحرص أمريكا على السلام وليأخذ تعهدات من جميع الأطراف بالاستمرار فى السلام والـ.. PEACE PROCESS.

ورغم أن هذه الصورة الكاريكاتورية لا يصدقها طفل فى روضة أطفال فإن علينا أن نصدقها.. وعلى قياداتنا أن تتصرف على وفاقها.. وأن تستمر فيها.

وعلى هذا الأساس تكون أى رصاصة نطلقها لمقاومة الاحتلال هى عدوان وتهديد بحرب شاملة بينما يكون قتلهم للمئات وتشريدهم للألوف ونسفهم للبيوت وتدميرهم للمدن هو إحلال السلام.. وعلينا أن نجدد العهد والبيعة بهذا السلام الكاريكاتورى كل يوم.. حتى لاتنقطع عنا المعونات ولا تتحول عنا البركات.

وقد جاء الوقت لنتوقف ونعيد حساباتنا.. فرغم كل المخاطر فإن أى معونة لاتساوى أن نبيع مستقبلنا.

ولاشك أن علاج الأمر يحتاج إلى استراتيجية مختلفة غير التى نسير فيها ويسير فيها كل عرب المنطقة.

إن الضامن الوحيد لأمن المنطقة هى أمريكا.. وأمريكا ليست

معنا وإنما هى قلبا وقالبا ومصلحة واستراتيجية مع إسرائيل وإسرائيل هى الشرطى الأمين الذى تستعمله أمريكا للحفاظ على مصالحها الحيوية وعلى ربط المنطقة بالمشيئة الأمريكية.

والمواجهة الحقيقية ليست مع إسرائيل بل هى للأسف الشديد مع أمريكا والغرب الذى أجمع أمره على تكسيح الدول الإسلامية والنزول بدرك الدول العربية إلى حضيض المعونات والتسول والحاجة المستمرة.. وما إسرائيل إلا مخلب وقفاز وأداة لتحقيق هذا الهدف.

والحل أن تتحرك أوروبا من موقف التبعية المطلقة لأمريكا فى سياسة الشرق الأوسط إلى موقف أكثر عدالة.. وأن تتحرك الصين بثقلها من موقف الصمت والحياد نحو ما يجرى إلى موقف أكثر تعاطفا.. وأن يصبح للدول العربية والإسلامية تكتل وموقف من عملية تهميشها وإذابتها وإفنائها.. وأن تتحول مصر إلى قوة اقتصادية مستغنية عن المعونات وقادرة على المناورة.. وأن يحدث فى الظروف الخارجية ما يساعد على هذا كله..

وعجلة التاريخ دوارة.. وليس فى طبع الزمان أن تدوم القوة لأحد والمهم أن تكون لنا أعين مفتوحة ونعرف متى نتحرك وكيف نتحرك والله موجود وهو لم يكن أبدا مع الظالمين إلا بقدر فتنتهم وامتحانهم وما لانملكه اليوم سوف نملكه غدا.

والصبر مطلوب

والإيمان قبل الصبر

وعلى كل مواطن أن يبدأ بسياسة نفسه إلى الأفضل قبل أن يتوقع أن يتحول كل شىء إلى الأفضل.

هذا هو اجتهادنا للخروج من الأزمة ولكن إرادة الله تتعالى على هذا كله وهو ليس فى حاجة إلى ظروف لأنه هو الذى يصنعها وحينما يريد فعناصر الكون كله مجندة لمشيئته.. ونسأل الله العون.

الرياء العظيم

الغرب صاحب التاريخ الدامى فى استعمار القارة الافريقية والقارة الآسيوية والقارة الأمريكية.. وصاحب السجل الأسود فى الحروب والمذابح والمجازر (إبادة ثلاثة ملايين هندى أحمر فى أمريكا وخطف ١٥مليون أفريقى وترحيلهم عبر البحر للعمل كعبيد فى الحقول والمصانع) وقام القراصنة البريطانيون وجيش الاستعمار البريطانى بخطف مثل هذا العدد للبيع فى أسواق النخاسة وللعمل فى مزارع اللوردات فى بريطانيا العظمى التى لاتغيب عنها الشمس.

وفى الهند وفيتنام وكمبوديا كان لفرنسا وانجلترا سجل دموى آخر.

وفى الصين كانت هناك حرب الأفيون التى أعلنتها انجلترا لتحطيم المقاومة الصينية بنشر المخدرات بين الشعب الصينى.

مسلسل إجرامى طويل حكاه لنا التاريخ.

واليوم نفس الأيدى الملوثة رأيناها تؤازر الصرب بالمال والسلاح والتأييد السياسى فى حرب البوسنة التى أبادت مائتى ألف مسلم وشردت ثلاثة ملايين لاجىء.. والمقابر الجماعية باقية لتشهد على ماجرى.

وهذا هو الغرب صاحب حقوق الإنسان وصاحب عصر النهضة وصاحب عصر التنوير.. يطالعنا فى هذه الأيام بأخبار طريفة ومواقف عجيبة.. تثير الابتسام.

إصدار حكم بغرامة مائة ألف مارك على مواطن لأنه رفس كلبا.. ياسلام.. وطائرة أمريكية تقطع رحلتها وتعود إلى نيويورك لأن هناك قطة منسية فى قاعات شحن البضائع تعانى من البرد.. ياعينى على العواطف الرقيقة!!

وحملة شديدة على استعمال حشرات حية وفئران وسحالى فى تجارب علمية باعتبارها قسوة ووحشية لاتليق.. ياحبة قلبى.. فعلا كلام ما يصحش..

وفى نفس الوقت وفى نفس اللحظة تضرب إسرائيل بقنابل الطائرات اللاجئين الهاربين فى قانا الذين يحتمون فى مخيم الأمم المتحدة ويقف العالم كله معها.. ويتكلم جون ميجور وكلنتون وكول ليبرروا لإسرائيل ما فعلت..

ونحن وحوش لأننا نأكل لحوم الأضاحى فى العيد ونذبح الدجاج والأرانب هكذا تقول الرقيقة.. بريجيت باردو.. وجماعات حقوق الحيوان.

يا الله.. ياله.. من رياء عظيم.


٤
لقد جاوز الظالمون المدى

مضى ياسر عرفات الى أبعد مدى فى إرضاء أمريكا وإسرائيل باتهامه إيران فى بيان صريح بأنها هى التى أصدرت الأمر بتنفيذ العمليات الانتحارية الأخيرة.. وهو كلام يثير أكثر من سؤال.. فإيران لا تملك إصدار ا لأمر بالانتحار الى أربعة من الشباب الفلسطينى فيمضى الأربعة إلى قتل أنفسهم هكذا فى بساطة بمجرد الأمر الإيرانى كما لو كانت الهوية الفلسطينية قد فقدت وأصبحت لا وجود لها.. كما أن عرفات لايملك دليلا على تلك المزاعم بعد أن أصبح الأربعة فى رحاب الله وقد تمزقوا إلى شظايا..

والواضح أنها رغبة أمريكية يرددها عرفات.. فقد أصبحت السياسة الأمريكية الآن هى حصار إيران وليبيا وسوريا والعراق بالاتهامات ودمغ كل الجماعات الإسلامية بالإرهاب وتعليق تهمة الإرهاب فى رقبة كل ما هو إسلامى.. وعناوين الصحف الأمريكية

ومانشتات افتتاحياتها تشهد بذلك.. وتصريحات رجال الكونجرس ترددها.

وهى خدمة تقدمها أمريكا لإسرائيل إضافة الى أكداس الأسلحة ومليارات الدولارات والتأييد المعنوى الجهير بالحق وبالباطل والفيتو السريع المبادر لإجهاض أى اعتراض.

ولا غرابة فى أن تدافع أمريكا عن إسرائيل فإسرائيل ولاية أمريكية تعمل للمصالح الأمريكية فى المنطقة ولكن أن يسبح عرفات فى هذه المياه الإسرائيلية ويتطوع باتهام دولة إسلامية لصالح الطرف الإسرائيلى الأمريكى.. هى مبالغة.. لن يكسب بها ود اليهود ولا تصفيق العرب.. وانما سوف يخسر نفسه.

والسياسة الصهيونية سياسة بالغة الدهاء وهى تتقن فن مسخ البطولات ومحو تاريخ الرجال.

وسوف يوافقنى عرفات على أن هناك كلاماً كثيرا عن السلام وطبول تدق بالسلام ورايات ترفع للسلام ولكن لايوجد سلام.. وانما قنابل تنزل على الجنوب اللبنانى واستيلاء على الأرض وبناء للمستوطنات واغتصاب للقدس ونسف للبيوت وشن للغارات على الجيران وحرث للأرض الفلسطينية وتمهيدها لمواجهة غير متكافئة مع أسلحة إسرائيلية ساحقة ماحقة فى مواجهة فلسطينية مفككة تضرب بعضها بعضا.

ورغم كل الكلام الناعم والوعود الصابونية الملمس فالمستقبل دموى كما كان الماضى دمويا..

ولا يقول بغير ذلك إلا رجل ساذج اختار أن يطمئن نفسه.

والحقيقة التى لاشك فيها ان الاسلام نفسه هو العقبة الحقيقية أمام الهيمنة الاسرائيلية فى المنطقة.. واسرائيل تحاول أن تلتف حول القضية.. فتحاول أن تصبغ المنطقة بالصبغة العلمانية الانحلالية وتحاول أن تلتف على الاسلام بتفكيك المسلمين أنفسهم.. تفكيك وحدتهم وانتزاع جذورهم واتهام تراثهم ومغالبة ثقافتهم بثقافات أخرى منافسة.. وكل هذا يحدث الآن تحت مسميات بريئة.. مثل ثقافة السلام وفنون السلام واقتصاد السلام وحوار السلام.

والتطبيع هو أداتها الوحيدة ووسيلتها.

وفى سوريا ومصر والمملكة العربية السعودية لا أحد يريد تطبيعا مع إسرائيل ولبنان بعد ست عشرة سنة من الحرب الأهلية (التى أدرك اللبنانيون أن اسرائيل كانت وراءها) لا أحد فى لبنان يريد تطبيعا مع اسرائيل.. ولا أحد يطمئن الى اسرائيل.

والكنيسة المصرية ضد ما تصنعه اسرائيل فى القدس..

والشعوب فى واد.. والحكومات فى واد.. وأكثر مانشتات الصحف مجرد مهدئات.

والسلام الذى يتكلم عنه الساسة هو مجرد قشرة تخفى تحتها رفضا حقيقيا للتغلغل الاسرائيلى فى المنطقة..

والمشكلة أن القهر وحده لن يستطيع أن يغير قلوب الناس.. واسرائيل لن تستطيع الدخول الى قلوب الناس بقرار وزارى من أصدقائها.. والحرب حتى الحرب المنتصرة لن تستطيع أن تبدل الكراهية حبا ولا الرفض قبولا.. ولا توجد حلول سحرية فى الأفق.

ورغم الترسانة الذرية والتسليح الأمريكى والمليارات التى تتدفق من المراكز الصهيونية فاسرائيل تحلم بالمستحيل.. وإذا هيمنت على الأرض لن تستطيع الهيمنة على الناس وإذا قتلت رجلا سوف يولد عشرة يحملون ثأره.

واسرائيل سوف تخسر معركتها مع الزمن..

ولقد قال القرآن وقالت التوراة وقالت الأناجيل.. إن العلو الاسرائيلى سوف ينتهي الى دمار.. وهو سطر واحد.. ولكن فيه اختصار للتاريخ القادم كله.

وليس كلام الله ككلام الصحف.. فلا تبديل لكلمات الله.. وهناك ألف مليون يؤمنون بتلك الكلمات.. وعلى اسرائيل أن تقتلع إيمانهم قبل أن يهدأ لها بال.

وأعتقد أنها مهمة صعبة.

ولو قدر لها أن تقتلع ايمان الكل وبقى واحد.. فسوف يقيم الله الناموس على يديه.. فاسرائيل قامت لتزول.. وهذا قدرها..

وكل ما عدا ذلك حراثة فى بحر.

ضيافة

طلعت الشمس وتبسم النوار وتفتحت البراعم وسالت حمرة الورد على خدود البستان وزقزقت العصافير ورقصت النسائم الحريرية مع أعواد الأغصان وجاء صباح جديد وليد.. ورغم هذه الاحتفالية الجميلة المبهجة فالأرض تسيل دما.

لماذا يعتدى الواحد منا على أرض الآخر.. لماذا يغتصب ما فى يده.. لماذا يقتل الناس بعضهم بعضا..

إن الأرض أرض الله والخيرات خيراته.. والخلق كلهم فى ضيافة الكريم الذى خلقهم لا يملك أحد منهم شيئا ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه مالك لأى شىء.

والذين وضعوا أيديهم على قيراط أرض سوف يتخلون عنه ويرحلون رغم أنوفهم.. فلامالك هنا سوى الله.. وكل الخلق ضيوف الرحمن لبرهة تطول أو تقصر.. أتى بهم خالقهم عرايا

ويعودون إليه عرايا لا يملكون شيئا إلا عملهم.

إنها ضيافة وليست إقامة.. ودار عبور وليست دار خلود.

مجرد كوبرى والكل مسافر مرتحل فى حالة مرور وعبور.. مجرد عبور.

والمسافر لايحتاج الا متاعا قليلا بسيطا هو متاع المسافر.. وهو يزرع خيمة أو يبنى كوخا مؤقتا ويستعمل كراسى وموائد من القش.

ولكن الكل الآن يبنى عمارات وأبراجا وناطحات سحاب ويمد فى الأرض جذور الخرسانة والحديد ويلطخ الحدائق بالأسمنت.. ويسكن فيها تياها فرحا بوهم البقاء الأزلى والخلود فى الأرض.

وهو ينفق الملايين على الزخرفة والتوشية بالذهب ويصنع معارج الرخام ويرفع أعمدة المرمر ثم يقتل جاره ليستولى على أرضه وأملاكه ليتوسع ويسرق كل ما تمتد اليه يده ويختلس ويبتز ويزور ويزيف ليضاعف أملاكه.. وينسى أنها ضيافة وليست إقامة.. وأنه مسافر ومرتحل.. وينسى أنه حمل جثة أبيه وجده إلى القبر من قبل وأنه لاحق بهما لامحالة.. وأنه لايوجد بشر واحد خلد فى الأرض.

إنها حالة من السفاهة العامة والغفلة العامة.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

«ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما»

النسيان والغفلة وضعف العزم هى الصفات العامة فى كل البشر وبنو اسرائيل أكثر السلالات البشرية غفلة ونسيانا وجحودا وتكبرا وحقدا وعنادا.. وحينما أسكنهم الله فى أرض الميعاد ظنوا أنها لهم حقا أبديا وملكية أزلية.. فعصوا وأفسدوا

وطغــــوا فأخــرجهـم الله من جنتهم ولعنهم وشتتهـم وقطعهم فى الأرض أمما. وضرب عليهم الذلـة والمسكنة «الا بحبل من الله وحبل من الناس».

وبهذا الحبل من الله ومن النـاس (أمـريكا وحلفـائهـا) تطاولـوا وطغوا وتكبروا وعادوا الى إفسادهم وسيعاود الله تأديبهم وطردهم تـذكيرا لهم ولغيرهم.. بأن الحيـاة فى الأرض أرادهـا الله ضيـافـة وعبورا وسفرا وترحالا وليس بقاء وتملكا وتحكما فى رقاب العباد.

إنها ضيافة وحسب..

ونحن جميعـا فى قطار سياحـى ونزهة حظنـا الوحيـد هى تلك النظرة والفـرجة من نوافذ عيـوننا ومن عربات القطـار المسرع بنا إلى الموت.. نتفرج على الدنيـا ونعتبر ونُمتحن ونُبتلى الى يوم حساب لامفر منه.

والـذين غـرهم من بنى اسرائيل وضع اليـد على أمـلاك الغير والعزة بـالتأييـد الأمريكى الـذى فازوا به بـالتحايـل على الناخبين والتسلل الى مقاعد صنع القرار فى الحكـومات المتوالية.. لن تنفعهم تلك العـزة ولا ذلك التأييـد فلـن يـدوم لهم شىء فى تلك العجلـة الـدوارة التى اسمهـا الـدنيـا.. التى يـداولها الله بين النـاس والتى لايدوم فيها العز لأحد.

والله يخفى ليهـود اليوم نهايـة لن تقل رعبـا عن يهود الأمس.. ويقول لهم

«وإن عــدتم عـدنــا وجعلنـــا جهنم للكـافــرين حصيرا» (٨ ـ الإسراء).

إن عـدتم إلى الله والى الملـة الحسنى عـدنــا عن تعـذيبكم وعن تشريدكم.. وإن عـدتم إلى العدوان عدنـا بكم إلى التشريد والهوان.. والرد تسـارع به الطائرات الاسرائيلية والمدفعيـة الثقيلة التى تلقى

بالمئات من قذائفها على الجنوب اللبنـانى.. كعربون تجدد به عهود السـلام والوئام.

وهكذا كانت دائما عهودهم ومواثيقهم.

العمـــاليـق

نحن الآن فى عصر العملقة والعماليق.

العملقـة فى العلم التى أدت إلى ظهور دول تملك القنـابل الذريـة والهيدروجينية التى تستطيع أن تمحـو بها الحياة وتفنى الشعوب وتدمر البيئة.. وفى الجانب الآخر دول لا تملك القوت ولا تجد المياه النظيفـة.. وفى تلك العملقـة الغـاشمـة لـون من الإرهـاب الـدولى يتضاءل أمامه أى إرهاب من أى تنظيمات أو أفراد أو جماعات.

وهؤلاء الذيـن امتلكوا تلك الوسائل لا يعلمـون ان الله هو الذى ملكهم.. وانه هو الذى آتـاهم العلم.. وهم مثل قارون الذى قال عن ثـرائه.. انما أوتيتـه على علم عنـدى .. فخسف الله بـه وبخـزائنـه الأرض.

وكان هـذا شأن الله أيضا فى تعـامله مع عماليق الماضـى.. قوم ثمود الـذين كانوا ينحتـون من الجبال بيـوتا فارهين.. وقـوم عاد الذين قال لهم ربهم.

«وتتخـذون مصانع لعلكم تخلـدون وإذا بطشتم بطشتم جبارين» (١٢٩ ـ ١٣٠ ـ الشعراء).

وقال لهم محذرا:

«واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون» (١٣٢ ـ الشعراء).

فما وسائل القـوة وما العلم الـذى حصلوه إلا بمدد منـه وحده سبحانه الذى علم الإنسان ما لم يعلم.

وقال فى سورة الزخرف:

«فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الأولين»

(٨ ـ الزخرف) .

« وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا»

(٣٦ ـ ق) .

إن الإهـلاك والاستئصال هـو سنـة الله فى مثل هؤلاء.. الـذين مضوا والذين غبروا.. والـذين يتألهون بقوتهم مثل الدول التى بين ظهرانينا.. (وروسيا وما جرى عليها مثال قريب).

ومـا كلام الله إلا لعمـوم التذكـرة فهو الـذى يعطى وهو الـذى يسلب لإعـادة التـوازن إذا اختلت المعـايير وتجبر الأقـويـاء على الضعفاء وتألهوا على الناس بوسائلهم.

ونسمع الآن أن اسرائيل تقـوم بتمشيط القـرى الفلسطينيـة وكأنما ترى بعض سـاكنيها كصنـوف من الحشرات وصنوف من القمل يلـزم فرزهـا من حين لآخـر.. ثم نراهـا تـزرع فى حدودنـا تـرسانتهـا النوويـة.. وتبادر بتـدمير أى محاولة لبحـوث نوويـة حـولها.. وتستخدم الآلـة الأمريكيـة السيـاسية فى تهديـد الصين وكوريـا والعراق وليبيـا.. وأى مكان فيه مظنـة نشأة قوة نـووية.. ليكون لها وحدها العزة والجبروت.. ولتكون الـديناصور الوحيد فى المنطقة.

ومن قبل ذلك أهلك الله الـديـنـاصـورات جميعهـا ومحاهـا من الأرض فى ضربة واحـدة ليقول بـذلك أنه لا استثنـاءات فى السنن الكـونيـة وأن مـا يجرى فى عالم الإنسـان يجرى أيضـا فى عـالم الحيوان وفى سائر الخلائق.

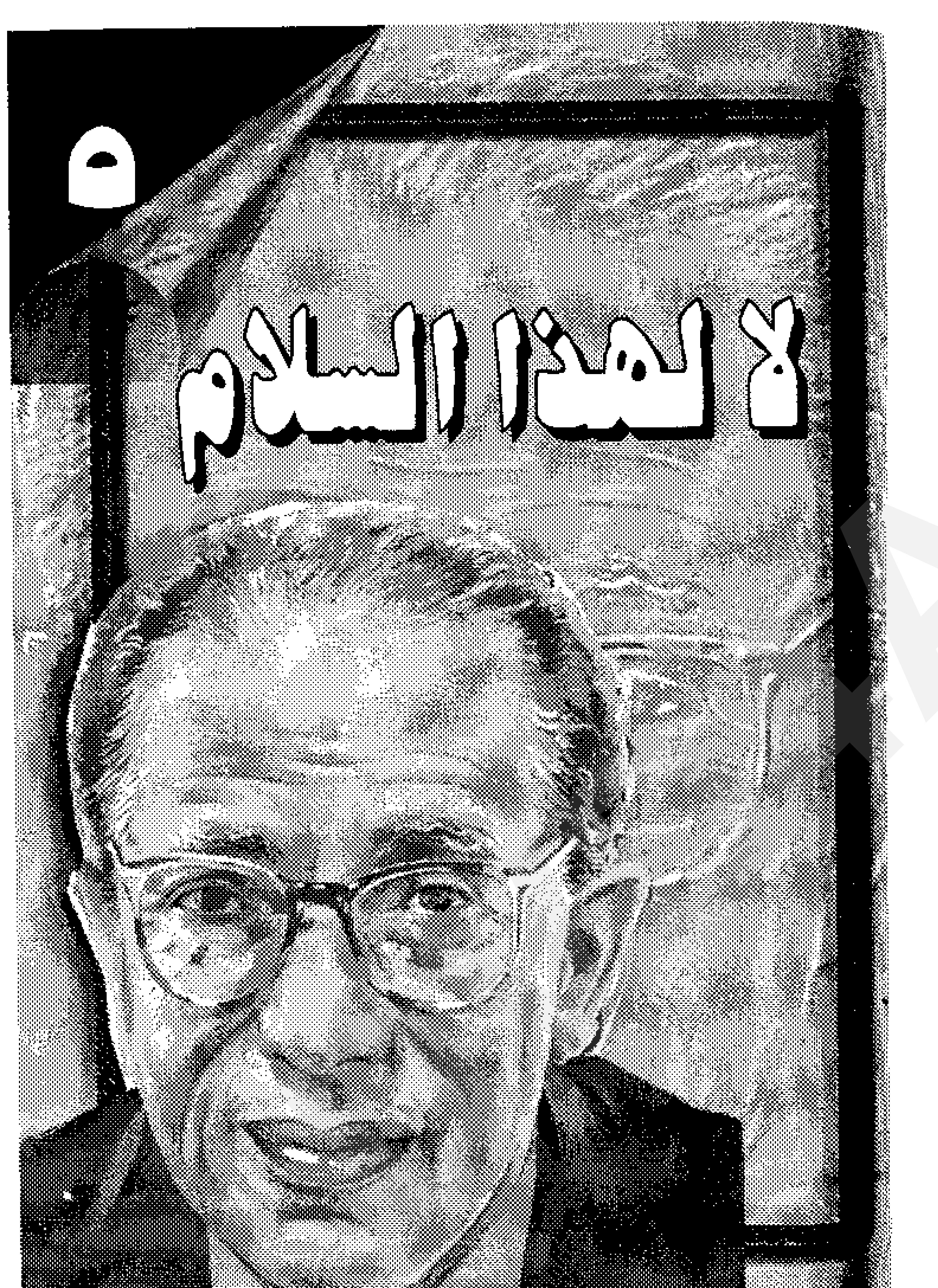
وفى الأماكن الاستوائية التى يتكـاثر فيها البعوض بشكل وبائى

يسلط عليها ربنـا أنواعـا من الحشرات المضيئة تجتـذبها وتأكلها.. ونـرى أمثال ذلك فى كل بيئـة طبيعيـة حتى فى المزارع الميكروبيـة والبكتيرية وفى عـالم الدقائق الميكـروسكوبيـة.. فقد خلق الله الكل ليعيش الكل وليس لينفرد جنس بالحياة دون الآخرين.

فهو الخالق الحافظ المدافع عن كل مخلوقاته.

وإن ربك لبالمرصاد.

وانتظروا.. إنى معكم رقيب.


٥
لا لهذا السلام

بعد العدوان الإسرائيلى الفاجر على شعب لبنان لن تستطيع حكومة أن تقنع شعبها بهذا السلام الإسرائيلى.. ولن تستعمل سلطاتها لفرض مثل هذا السلام على شعبها حرصا على مصداقيتها.

إن قنابل إسرائيل التى دمرت البنية الأساسية وقتلت الأطفال والنساء والشيوخ فى بيروت كانت نقطة الفراق النهائى ونقطة اللاعودة.

لا عودة إلى الاتفاقات الهلامية والكلمات الملتوية المطاطة.

إن التوقيع على أى اتفاق اسرائيلى هو توقيع على فقدان الأمن وفقدان الأرض وفقدان الحياة.

وما تريده الشعوب الآن هو الحماية من غدر إسرائيل وليس الاتفاق معها.

ما تطلبه الشعوب من حكوماتها الآن هو أن تحميها بالسلاح

الكافى والنظـام الدفـاعى الكافى والإعـداد العسكرى الكـافى والقوة السياسيـة الكافيـة.. وأهون عليهـا أن تعطى من لقمتهـا لجيشهـا ودفاعها من أن تعطى رقبتها لأعدائها.

إن خضوع مـائة مليون لخمسة ملايين إسرائيلى مـذلة لا مبرر لها.

والاستمـرار فى هـذا السـلام الكاذب هـو خـداع للنفس وخـداع للشعوب وتنازل عن الكرامة بلا جدوى وبلا عائد وبلا ضرورة.

وليس فى كـلامنـا إعـلان للحـرب على أحـد وانما مجرد وقفـة مخلصة مع النفس وإعـادة للحسابات ونظرة محـايـدة للاحتمالات والإمكانات وإلى السـالب والموجب فى مواقفنا وإلى التكييف الأدق لما يواجهنا.

نحن نريد أمنا ولا نريد عدوانا.

نريد أمنا يعتمد على قوانا الذاتية وليس على وعود إسرائيلية.

إن لبنان حينما اعتدى عليها لم يتحـرك العالم الا بعد أن أفرغت إسرائيل تـرسانـاتها من المتفجـرات على مـرافقها وبعـد أن نسفت القنابل بنيتهـا الأساسية ودمـرت محطات النور والميـاه والمجارى وأحالت مدنها الى ظلام..

وحينما جاء القـرار بوقف إطلاق النـار جاء بعد أوانـه وبفارق مليارات من الليرات من الخسـائر ومئـات من القتلى.. وخراب ودمار ودماء..

وهيهات لـدماء سفكت أن تعود إلى عـروق أصحابها من جـديد بقرار من الأمم المتحدة.

حتى إسعاف الأمم المتحدة جاء فى الـوقت الذى أرادته اسرائيل.. وليس فى الـوقت الـذى يتطلبـه الموقف.. حتى الاسعـــاف كـان أكذوبة.. وكان إغلاقا للجرح على صديد.

نحن نعيش فى عـالم متـآمـر.. وليس أمامنـا الا أن نعتمـد على أنفسنا فى حماية أنفسنا.

وصدق الله العظيم.. **« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة»**

أعـدوا واستعـــدوا وتأهبـــوا وانشطـوا واحتشـــدوا ورابطـوا وصابروا واحتسبوا.

والله لن يخذلكم أبدا..

ووعد الله ليس كـوعود الكونجـرس فالله هو الوحيـد القادر على إنفاذ مـايقول.. لأنه وحده الـذى يملك الزمان والمكـان ورقاب الكل مؤمنين وكفرة. وبـاسمه سبحانه يـدور الفلك.. وبمدد الرحمة من أنفاسه نلتقط أنفاسنا وتستمر حياتنا إذا شاء وتتوقف إذا شاء.

والعلمانيون يبتسمون حينما نتكلم بهذه اللغة الواثقة فى غيبيات ويسخرون من معلومات قديمـة أسطورية لم تعد تجدى مع المدفع والذرة وقـد نسوا أن الذرة هى الأخرى من صنعـه وأن الكتروناتها الطوافة حول كعبة النـواة تدور هى الأخرى فى نفس الاتجاه الذى نطوف بـه حول كعبـة ابراهيم (عكـس عقارب الساعـة) وفى نفس الاتجاه تدور الكواكب والأقمار حـول شموسـها فى الكون الكبير الا مـاتصادم منهـا وخرج عن مـداره. وأن كل مـا فى الكون يشهـد بالـوحدانية فى القـوانين والنسق والنظام لأنها جميعـا خرجت من واحد أحد خلقها جميعا.

ولا نجادل. فسوف يجيب عنا التاريخ وتتكلم الأحداث.

ارفضوا الـذل والتبعية يـا إخوة.. ولا تخافـوا.. فإنهم لايملكون الا أسلحـة تقتل.. والموت قادم بهم وبـدونهم ولن يموت أحـد قبل أجلـه.. ولايملك أعـداؤنـا أن يستقـدمـوا الا مـا قـدم الله ولا أن يستأخروا إلا ماأخر.. وهـم جنـود غضبه وسخطه دون أن يعلموا.. وهم لايملكـون أن يغيروا من كتـابه شيئـا.. وهـم الأخسرون مهما فعلوا.

ولن يضيع الله عبدا آمن به أبدا.

قاموس جديد للألفاظ

والسياسـة الجديـدة لإسرائيـل هى اللعب بـالألفـاظ وقلب معانيهـا.. نوع من الدعارة بـالكلمات والزنا بالألفـاظ.. فهى تقول انها تسعى إلى السـلام ولكـن مـا تفعلـه فى لبنـان هـو الحرب.. والحرب النظامية.. ضرب العاصمة بيروت بـالطائرات وتدمير البنية الأساسية وتفجير محطات النور والماء والمجارى.. وهـى تسمى هذا الذى تفعلـه تعزيزا للسـلام وضربا لـلارهاب الذى يمارسـه رجال حـزب الله.. ولكن مـا يحدث فى الجنوب اللبنـانى ليس إرهـابـا بل مقاومة للاحتـلال الاسرائيلى وهو أمر مشروع.. ثم انها لا تضرب حزب الله بل تعلن الحرب على لبنـان نفسها.. وهـذا أشبه بأن تعلن الحرب على مصر لأن هنـاك تفجيرا فى فنـدق الملك داود فى إسرائيل قامت بـه جماعة الجهـاد الاسلامية.. وهـذه الجماعة مقرها مصر مثلا.. فلتعزز السلام إذن.. تضرب القاهـرة بالقنابل وتنسف السد العالى وتـدمر محطـات القوى والماء والمجـارى والأنفاق ومصـانع الحديد والصلب.. الخ.. نـوع جـّديد مـن السلام اسمـه السـلام الاسرائيلى.. لقد قلبوا تماما معنى الكلمة الى ضدها.

والحل الـوحيد لـلأمن الاسرائيلى.. أن تكـون كل الـزعامـات فى المنطقة زعـامات مستأنسة مثل قـابوس.. تهلل.. وتـوقع.. وتتبادل الهدايـا والقبـلات مع العــزيـزة إسرائيل.. ولا تحاول أن تفكـر فى معانى الكلمات ولا فيما وراء الاتفاقات.

ولأننـا لم نبلغ بعد هـذا القـدر من الاستئنـاس.. ولأننا فهمنـا «الأجروميـة» الجديدة التى تتكلـم بها اسرائيل وعرفنـا قامـوسهـا.. فإننـا نقول بملء الفـم.. لا. وألف لا.. لهذا السلام.. ولايعنى هـذا أننا قد اخترنـا الحرب أو أننا رفضنا السلام.. فالسـلام مازال هو الحل الحقيقى والوحيد لمشاكل المنطقة.. والسـلام هو الأمل ولكن ليس السلام «المقلوب» الذى يدعو إليه بيريز.

رمـوز المقـاومة

رأيت ياسر عرفـات يتبادل الابتسامات مع بيريـز ويشكر هذا وذاك على مليارات الـدولارات القادمة فى الطـريق لإنعاش الـدولة الفلسطينية ورأيته فى التليفزيـونات الأوروبية مع بيوت المال ومع الوسطـاء يشكو من أن المليـارات التى وعد بها لم يحصـل منها الا على خمسة وعشريـن مليون دولار ذهبت أجـورا لرجـال الشرطة.. وأشفقت على الرجل.. ذلك البطل القديم الذى كان يحمل المدفع وقد انتهى بـه الحال إلى ذلك الـرجل الـوديع المسالم الـذى يحبـو على الشوك من أجل بضعة دولارات يلتقطها مـن أعدائه الصهاينة ومن أجل دولة على الورق نصفها فى السجون والنصف الآخر يعيش فى جيوب محاصرة بالمستـوطنات ويعانى المهانـة والتجويع من هؤلاء الأعـداء الذين يـدعون أنهم أصـدقاء.. وأيقنت أن رمـوز المقاومـة الفلســطينية لم يبق منـــها إلا رايـة حمـاس المرفـوعـة فى وجـه الظلم.. وأن حماس هى الـوجـه الآخـر الضرورى لحيـاة المنظمـة ولبقائها.

لماذا يدفعـوننا دفعا إلى معـاداة ايران واتهامهـا وإعلان الحرب عليها.

ولماذا يريـدون ألا يكون للإسلام صـوت ولا إرادة ولا قوة على دفع العدوان.. وإذا انطلقت رصـاصـة فى أرض محتلة من أيد تـريد أن تستـرد أرضهـا وحريتهـا. قـالوا هـو إرهـاب وحـرضوا العـالم ومـلأوا الدنيـا بالصراخ.. وإذا نسفـوا هم البيوت وقتلـوا الأبريـاء بـدون جـريـرة وانتزعـوا اللقمـة من فم الأطفـال.. مـاذا يسمـون فعلهم.. هل تعـرفون فى القـاموس كلمـة تعبر عن هذا الـذى تفعله اسرائيل؟!! أنـا لا أجد كلمـة لهذا الفحش.. وأسوأ منـه.. أن نسكت عليه.. وأن يسكت العالم فلا يرتفع فيـه صوت ينادى بالعدل.. وأن

تموت المقاومة وتتحـول إلى مساومة وتسول للقـروض والمعونات اسمه الـ Peace Process .

وحينما تصبح الكرامة قابلة للبيع والأرض قابلة للبيع والأوطان قابلة للبيع فماذا يبقى للمواطن.

ومـا يبكى ومـا يضحك أن الثمن المعـروض لكـل هـذا الهوان مسروق أصلا من لقمتنـا وبترولنا. ومعظم بترول العـرب المخزون الآن فى الأرض أصبح مرتهنـا بفوائد لقـروض قديمـة تضاعفت مع الوقت سنة بعد سنة حتى أصبح البعض منا لا يملك شيئا.

لقد كانت للعبيد فى الماضى ثورة أيام سبارتاكوس.

واليوم هم جاءوا بإسرائيل الى المنطقـة كى لا يخرج منها صوت احتجاج الى آخـر الدهـر.. وقد زودوهـا بترسانـة ذرية لتهـدد من يخطر له أن يعصى أو يفتح فمه .

هذا تصريفهم الذكى جدا.

ولكن لله تصريف آخر.

والله من ورائهم محيط.

الوحدة العربية المستعصية

إذا كان جمع كل العـرب أمرا مستحيـلا.. وإذا كان هنـاك قطاع عـربى قـد اختـار الارتبـاط بـاسرائيل مثل الأردن وقطـر وعمان وتونس والمغـرب.. فإن هذا لايعنى أن ننفض أيـدينا من الـوحدة.. فهناك دول المواجهـة وهى المجموعة الأهـم.. هناك سوريـا ولبنان ومصر والسعودية.. وهى الدول الأعلى صوتـا والأقوى فعالية وهى يمكنها أن تمثل جبهة الصمود الفاعلة وهناك ليبيا بموقفها المبدئى الصلب ضد أمـريكا واسرائيل.. وهـذه الوحـدة المصغرة أنفع بكثير من وحدة كبرى مترهلة تضرب بعضها بعضا.

إن دولـة الأردن التى اختارت الأمـان الاسرائيلى وقطـر ومسقط

اللتين انكفأتـا على وجهيهما من كثرة الهرولـة لن تضيفا شيئـا الى الحضور العـربى لأنه لا يوجد لهما حضـور عربى يذكـر.. وغياب صدام أفضل من حضوره.. وما لا يتيسر كله لا يترك كله.. ويجب أن نفكـر بمرونـة وبنظـرة واقعية الى هـذه الخريطـة التى تمزقت لنفعل الممكن والعـاجل لجمـع شملهـا ولا ننتظـر المستحيل.. فإن الأحـداث التى تتداعى بسرعـة والأخطـار التى تتلاحق تتطلب منـا موقفا فاعلا وتتطلب جبهة متحدة تتكلم بصوت واحد..

ووجـود بعض الخلافـات لا يمنـع من وجـود رأى متحـد فالخلافـات تذوب دائما أمام الخطر المشترك.. والخطـر ليس خطرا اسرائيليـا فقط بل أصبح الآن خطـرا أمـريكيا بنفس الـدرجـة.. فأمـريكا تـدفع وتشجع وتسلح وتحمى هـذا الظلم الاسرائيلى الوحشى.

والخلافـات فى الـرأى بين الاخـوة لا تصنع التمـزق الا عنـد المتخلفين الذين لا يـدركون لغـة المصالح المشتركـة.. ولقد اختلف الروس البلاشفة مع الأمريكـان خلاف حياة وموت ولكنهم اتحدوا أمام الخطر النازى فى الحرب العالمية الثانية وحاربوا هتلر جنبا الى جنب وانتصروا عليه.. والنازية الاسرائيلية اليوم فى حاجة الى نفس الوقفـة والظلم الأمريكى فى حاجـة الى نفس التكتل ونفس الردع.. والخطر على الحضارة يأتى من جانـب الصهيونية وليس من جانب الإسلام.

ويجب أن يكـون مفهومـا أن أهازيج السـلام وأغانى السـلام التى أرادوا تخديـرنا بها لم تعـد تنفع وأننا صحـونا مفـزعين على القنابـل التى تلقيها الطـائرات الاسرائيلية على بيروت بحجـة إبادة حزب الله.. فلـم نر القنابـل تقتل الا اللبنانيين ولم نـرها تـدمر إلا البنية الأساسية اللبنانية ولم نـرها تحرق سوى الأرض اللبنانية..

وهم كذابـون فجرة يعلمون مـاذا ستفعل قنابلهم.. وتـدمير لبنان كان هدفهم.. ومـاكان حزب الله إلا ذريعة.. وإذا كـانت الانتخابات الاسرائيليـة هى الهدف كما يقـول البعض.. فهى عـذر أقبح من الـذنب.. ومعنـاها أن النـاخب الاسرائيلى يـريـد قتلة وسفـاحين فى كـراسى الحكم.. والمعنى البـاطن فى هـذا الاختيـار أنهم يجهـزون لحرب ويتأهبون لمجـزرة.. فكيف نرى كل هـذا ولا نستعد.. وكيف نشهد كل هذا الاستفزاز ولا نتحـرك.. إنها جميعها نذر ومحاذير ودواه سوف تـوحدنـا جميعا رغم أنوفنـا.. ربما لن تكون الـوحدة شاملة.. ولكنها سوف تجمع دول المواجهة وهذا يكفينا.

إن الصدور التى توجه اليها السهـام ستكون أكثر الكل حماسا وأكثـر الكل فـداء وإخـلاصـا وهـى الصفـات المطلـوبـة لجبهـة المواجهة.. ولا تهمنا سلبية الذين يتخلفون.

لقد كسرت مصر وسـوريا الهجمـة الصليبية كما ردتـا التتار بدون جامعة عربية وبدون توحد عربى شامل..

والله يفعل ما يشاء حينما يشاء بما يشاء.

أقول هذا لليائسين والقانطين والمتشائمين.

وللذين يخافون بـأس أمريكا وبأس القنابل الـذرية.. أقول لهم أين ذهب بأس روسيا وكانت تحمل على ظهـرها أضعاف ما تحمل إسرائيل من قنـابل ذريـة وأضعـاف ما تحمل من رؤوس نـوويـة وصواريخ مـوجهة.. إنها الآن فى الحضيض وهى تتسول المعـونات وتـرسانـاتها النـووية لعنـة عليهـا لا تعرف كيف تتخلص منهـا ومفاعلاتها القديمة عبء مالى رهيب يحتاج إلى مليارات لإصلاحها لا تعرف من أين تأتى بها.

إنها لم تحصد نصرا.. بل حصدت فقرا وهـزيمة.. بينما خرجت

من حضيض الفقـر دول صغيرة إسـلامية مثـل ماليـزيـا. وبلغت ذروة التكنولوجيا.. بالجهد والاجتهاد.

وليس فى سنغافورة خامـات ولا معادن ولا فحم ولا حتى مياه.. وهى ماهى فى ثرائها وتقدمها.. والحاضر الذى نعيشه كدول عربية رغم تعاسته وظـلامه لا ينفى ولا يمنع من تحول فى المستقبل يغير كل شىء.

أقول هذا حتى لا يتواكل الشبـاب وينتظر المعجزات بل ليشحذ عزائمه ويشمر سواعـده.. فشعار كل مسلم.. إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مـا بأنفسهم.. وهى السنَّـة الإلهيـة الفـاعلـة بطـول التاريخ.

إن الامـام يقول لنـا فى كل صلاة.. استـووا.. وكل المسلمين من أقاصى الأرض يتـوجهون الى قبلـة واحدة.. والملايين يـركعون فى الكعبـة فى لحظـة واحـدة ويسجـدون فى لحظـة واحـدة.. وروح الجماعة هى رائد المسلم.

ولن تطول الفرقة.

وشكرا لإسرائيل فعدوانها الفاجر سـوف يجمعنا.. وقنابلها هى الغيث الذى سوف تتفتح عليه عقولنـا وتصحو ضمائرنا بعد طول موات.


٦
الولد المطيع

السيطـرة والتحكم فى مقـدرات العـالم هـو هـدف الصـهيـونيـة الحقيقى وليس صحيحا أن هـدف الصهيونية هو إنقـاذ اليهود من الشتـات أو جمعهم فى وطن وإنما الهدف هـــو التسلل إلى مقـاعـد الصدارة وقيـادة العالم بـالخداع والرشـوة والغوايـة وما حكـايات مـوسى والتـوراة والجنس المختـار إلا وسـائل للتغطيـة على هـذا الطمـوح المجنـون فكل قـادة الصهيــونيـة مـلاحـدة لا دين لهم ولا إيمان وكل همهم الدنيا والفوز بها.

قـال النجم السينمائى مارلـون بـرانـدو وهو يهودى إن اليهـود يسيطـرون على هوليـود ويتحكمون فى مقـدراتها.. وقـامت قيامـة الصهيونية عليه.

ولم يقل الرجل إلا الحقيقـة فالسينما الأمريكيـة التى انحدرت إلى العنف والجنس والدم والمخدرات والعـرى.. والفيلم الأمريكى الذى تحول إلى تجارة شرسة تخلو من القيم.. هى شـاهد صادق على أن

أمـوال المنتجين الكبـار وأكثـرهم من اليهـود تحولـت بـالفعل إلى الإفساد وإلى تـربية جيل جديـد من الشباب على الدعـارة والشذوذ والانحلال والسرقة والقتل والعنف.

لم تعد السينما الأمريكية ذلك الحلم الجميل الذى كنا نستمتع به أيام كلارك جيبل وفيفيـان لى ولورانس أوليفييه.. وإنما تحولت إلى كابوس دموى من اطلاق الـرصاص وتفجير القنابل وإلى شخوص مدمرة مثل شوارزنجر تنسف وتهدم وتدمر وتقتل.

ومثل هذا التحـول الذى أصـاب السينما فى العالم كله بـالعدوى لم يحدث مصادفـة ولم يتم عفويـا وإنما بخطة وتـوجيه وإرادة.. وهى إرادة ما كان ليملكها إلا المنتج الذى بيده الملايين.

والنجم الـواحـد أصبح يتقـاضى الآن ثـلاثين مليـونـا وأربعين مليونا.. وميزانية الفيلم الـواحد تجاوزت المائة مليون.. وهى أموال لم يعـد يملكهـا إلا حيتـان البنـوك وأبـاطـرة البـورصـة وملـوك الصناعـة.. وكلهم يهود صهاينة ولهم هـدف بعيد من هـذا التحول وهذا الإفساد.. فالحلم المجنـون بالسيادة على العالم لن يتحقق إلا إذا تحول العـالم إلى عجينة طيعـة وإلى أجيـال رخوة من الشبـاب المخدر الضائع يمكن السيطرة عليها.

ولا تعمـل السـينما وحـدهـا لتـلك الغـايـة وإنمـا المسـارح الاستعـراضية والتليفـزيون والأقمار الصنـاعية التى تبث العمليـة الجنسية بأوضاعها الشاذة طوال الليل على الشباب الساهر المخدر وكذلك مجلات البلاى بوى وصحف التابلويد وكلها يملكها يهود.

وعملاق الصحـافة ودور النشر اليهـودى «مردوخ» يملـك وحده أكبر عشر صحف فى العـالم.. والـذين يملكـون شركـات الإنتـاج التليفزيونى ومحطات البث أغلبهم يهود وصهاينة مثله.

والمسـارح الاستعـراضيـة فى بـرودواى وبيـوت الموضـة.. نفس

الشىء.. وكلها أحاطت بالشبـاب المسكين إحاطة السوار بالمعصم.. فلم يعد له مخرج ولا مهرب من هذا الإفسـاد القدرى.

إن السقوط شامل.. والخطر حقيقى.

وبـلاد العـالم الثـالث نصيبهـا من التـدمير أكبر.. لأنها الجانب الأفقر وشبابها هم الفئة الأضعف والأقل وعيا والأقل حصانة.

إنها صيحـة حق أطلقهـا يهودى.. ومن اليهـود رجـال شرفـاء ولاشك.. وقد أثنى القرآن على هذه القلة الفاضلة وقال فيهم:

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون »

(١٥٩ ـ الأعراف)

فجعل من هذه القلة أمة.

وجعل من ابراهيم وحده «أمة» فى رجل.

وهكذا الشرفاء دائما فى جميع العصور.

ولهذا لا يقف عقلاء المسلمين ضـد اليهود ولكن ضد الصهيـونية كيهودية منحرفة ضالة ولا يقف القرآن ضد أهل الكتاب وإنما ضد الذين انحرفوا منهم..

ويقول القرآن:

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله»

(١١٣ ـ آل عمران)

وصدق الله العظيم.

ولا يظلم ربك أحدا.

أقول هـذا رغم أن مـارلون برانـدو غُلب على أمـره وتكاثـر عليه الصهاينة وحاصروه بتهديـداتهم وأرغموه على الاعتذار.. ولكن كلمة الحق كانت قـد قيلت وملأت الـدنيا ولم يعـد هناك سبيل إلى محو ما حدث.

ومن قبل مارلون بـراندو أثار الكاتب الفـرنسى روجيه جارودى

موضـــوع اضطهاد النازيـة لليهود وخـرافة المحارق وغـرف الغاز والستة ملايين يهودى الـذين أعدموا وقال: إنها مبـالغات وأكاذيب وأن الـرقـم لا يصل إلى مليـون وأن المستنـدات الحقيقيـــة أخفيت والأرقام زيفت.. فقامت قيامة الدنيا على الرجل وأقاموا له المشانق فى الصحف وقدم للمحـاكمة وحكم عليه بسنة سجناً مـع الغرامة.. وكل هذا لأنه حاول أن يمزق هـذه الشباك العنكبوتية من الأكاذيب ويبدد هذا الضباب من التعمية والتلفيق الذى أغرقوا فيه العالم.

وهم لا يكتفون بأن تكـون معهم وإنما يريـدونك أن تكون تحت سيطرتهم ونفس الشىء بالنسبة لكـل وسـائل الإعلام.. فلا أقل من أن يمتلكـوا الصحـافـــة ودور النشر وشركـات الإنتـاج السينمائى والتليفزيونى ولا يكفى أن يكون الرئيـس الأمريكى كلينتون حارسا لمصالحهم ومنحازا لهم وإنما يجب أن يكون.. الـولد المطيع.. الذى لا يقـــول لإسرائيل.. لا.. ولـــو ألقت إسرائيل القنـــابل على بيروت وقتلت المئــات فى مجزرة قـــانـــا وشردت الألـــوف من اللبنـــانيين وأخرجت أهل الجنوب اللبنانى مـــن قراهم وديارهم.. فكل هذا يجب أن يكون حسنا فى نظر كلينتون وأن يبـاركه بلا مناقشة وأن يبرره ويدافـع عنه.. فهو ولـد مطيع.. لا يقـول .. لا .. ولا يجب أن يكون أكثر من بوق لرغباتهم.

وكل الـزعامـات يجب أن تكـون أبواقـا لهم حـارسة لمصـالحهم مدافعة عن جرائمهم.

هذه السيطـرة المجنونة للجماعـة الصهيونيـة هى طابع العصر.. وهى الداء السرطـانى الخبيث الذى يتغـذى على الحكومـات ويوهن الشعوب وينشر الإلحاد والأفكار الهدامة فى الشباب.

والأذرع الأخطبـوطية للماســونيـة التى وصلت إلى مقاعـد صنع القـرار فى كل الحكـــومـات هى وســائل الضغـط التى تستعملها

الصهيـونيـة ليكـون كل قـرار لصـالحهـا.. وقـد اعترف الـرئيس الفرنسى ديستان بأنه كان ماسونيا ونشرت الصحف الفرنسية أن كل مستشارى ميتران من الماسون.. والصهيونية تستخدم الضغط والإرهـاب والتهـديـد والابتـزاز وتشترى الـذمم بـالمال وتستعمل الجنس والغـوايـة.. وهى لا تتـورع عـن أى جـريمـة تقـربها من أهدافها.

ووراء كل الحروب والثـورات تجد الأيـدى الـدمـويـة للماســون والصهاينة.

وهدفهم النهـائى أن يصبح العالم كلـه.. ذلك الولـد المطيع الذى لايقول لإسرائيل .. لا.

وهو هدف مجنـون.. ولن يتحقق .. لأن العالم ليس مجرد آليات وليس عجينة طيعة وليس مادة يمكن صهرها وصبها فى قالب.

العالم حيـاة أودع الله فيهـا الروح والعقل.. وهـو قد يكبـو مرة وقد يتعثـر مرات وقد يـدخل فى حروب ولكنـه بحكم الروح والعقل المودعين فيه ما يلبث أن يصحـو ويفيق ويكتشـف أمراضه ويعالج نفسه.

واللـه لم يخلق العالم ليتركـه للشياطين تفسـد فيه.. فهـو بحكم أسمائه الحسنى.. الحافظ والهادى والنـور والحق.. يأخذ بيـد هذا العالم إلى طريق النجاة طول الوقت.

وهو يقول فى كتابه عن هؤلاء الصهاينة:

كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله.

إن الله معنا طول الوقت.

وإذا كان الله معنا فمن علينا.

إن هى إلا كوابيس ليل.. وما يلبث الفجر أن يطلع.

الاتجـــاه شـــرقا

كانـوا يعلموننـا فيما مضى أن الاتجاه غربـا بالنسبـة لمصر هو الاتجاه إلى منابع الحضـارة والتقدم والأمل.. وأن الاتجاه شرقـا هو الاتجاه إلى عالم الأسـاطير والأديان والتخلف.. وكـان أكثر أدبـائنا بالفعل أبناء ثقافـة غربية وسلالة باريسيـة وأنجلو سكسونية مثل طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم.

وكـانت هناك مبررات وجيهـة لهذا الـرأى .. فقـد كانت مبـادىء الحريـة وحقوق الإنسـان والفلسفـات المتنوعـة والعلـوم المتقدمـة والتكنولوجيا المتطورة تأتينا مـن هناك.. وكان لابد للأديب والمفكر أن ينهل من تلك المناهل ليجدد عقله.

ولكنى أعتقـد أن الوضع قـد اختلف كثيرا فى زماننـا وأن الصورة قد اختلفت بعـد التغلغل الصهيونى الذى لـوث كل الينابيع فى دول الغرب.. وأن حقـوق الإنسان قد انقلب معناهـا فأصبح قتل مائتى ألف مسلم بـوسنى وهتك أعـراضهم واغتصاب نسـائهم وتشريـد الملايين من أهليهم.. وهـدم مـدن الشيشان على سكـانها.. وكفـاح المواطن اللبنانى الجنوبى ليحـرر أرضـه.. وكفاح الفلسطينى ليخرج الغـاصـب المحتل.. كل هـذا أصبح لا يـدخل تحت بنـد حقـوق الإنسـان.. لأنهم مسلمـون.. والمسلمـون قـد سقطت حقـوقهم واستبيحت دمـاؤهم وأصبح المطلـوب مطاردتهم.. وأكثـر من ذلك أصبح الكفر بـالله والطعن على الأنبيـاء والشك فى نبوة المسيح وفى وجود الله.. كل هذا أصبح مباحا وحقا أساسيا من حقوق الفرد فى أوروبـا بينما أصبح أى مساس بـالصهيـونية وأكـاذيبها محرمـا ومحظورا على أى مفكر أو كاتب ومحروسا بقـوانين صارمة تدخل من يخالفهـا السجن.. وجـارودى أوضح مثـال على ذلك.. حينما قدموه للمحـاكمة لإثارته للشك فى رقم الستـة ملايين يهودى الذين

تدعى الصهيـونيـة اعـدامهم.. والعجيب أن المجلـة التى تصـدت للهجوم عليـه هى نفسها التى نشرت فى نفس الـوقت رواية سلمان رشدى «آيات شيطانية» وهى الـرواية التى تسب النبى محمد عليه الصـلاة والسـلام وتسب الإسـلام.. وهذا فى عـرفهم مبـاح.. أمـا المسـاس بأى أسطورة يهوديـة أو أى أكاذيب صهيـونية فـلا حق لأحد فيـه.. وقد رأينا ألمانيا تقف مع إسرائيل فى عـدوانها على لبنان ورأينا جـون ميجور يؤكـد حق إسرائيل فى هذا الإجـرام.. والرئيس الأمريكى كلينتون يبارك هذا الظلم.

هـذه الخيـانة الصريحة لكل الأعـراف والقيم والمبـادىء.. وهـذا السقـوط المخجـل والمشين للعقل الأوروبى وللحضـارة الغـربيـة برمتها هى وصمة هذا العصر وعار هذا الزمان.

وقـد قتل فى لبنان مسيحيـون ومسلمـون فلم يتحـرك الوجـدان المسيحى فى أوروبا ولا فى أمـريكا.. وفى فـرنسا تعـرض المسرحيات التى تسخر من اللـه ومن المسيح فلا يعترض عليهـا أحد ثم يكتب سطـر واحـد موضـوعى ومـؤيـد بـالمستندات يشكك فى أكـذوبـة صهيونية فتهب الصحافة كلها ويتحرك القضـاء لمحاكمة الذى نطق بهذا الإفك وسطر هذا الجنون ويتدافع الكل يطالب بسجنه.

هل هذه هى حقـوق الإنسـان.. وهل هذه هى الحريـة الأوروبية.. وهل هذه هى الحضـارة الغربية.. أم أن مـا نراه هو مذبحة الحرية وانتهاك الحضـارة على يد حفنـة من المتآمـرين الصهاينـة وضعوا أيـديهم على منافـذ الحكم واستـولـوا على منابـر الـرأى.. وساقـوا الشعوب الأوروبية أمامهم كالقطيع.

هل هذه هى القبلـة التى نتجه إليهـا لنأخذ منهـا .. هل هذا النبع الملوث هو الذى نشرب منه.

لا والله بل نتجـه شرقا.. إلى الصين.. وإلى الأمـل الجديد البـازغ..

إلى حيث لم تـدخـل الصهيـونيـة بعـد ولم تلــوث اليـنـابيع الأولى للإنسانية..

نتجه إلى الفطرة والبكارة.

ونتمسك بكتابنا الذى لم تبدله يد.

ونلتمس العون دون أن نفرط فى قيمنا وحضارتنا.

ونقدم عزاءنا لأوروبا فى حضارتها التى ماتت.

الـــبرامــــكة

إسرائيل فى حالة زهــو وعلو وانتفاخ وغرور.. ولكن كل مـا تزهو به ليس ملكا أصيلا لها بل هو مستعار من الآخرين.. المال أمريكى والسـلاح أمريكى والتكنـولوجيـا النوويـة أمريكيـة والظهر الـذى يسـانـدهـا فى الأمم المتحـدة أمــريكى.. وأوربـا تغمض العين عن إجرامها إرضاء للحليف الأمريكى.

كل هـذه القوة منتحلـة وليست أصيلة.. بـاروكة.. ولكن الـرأس تحتها أقرع ليس فيه شعرة واحدة.

إنهم البرامكة الذين تسللـوا إلى الحكم فى عصر الرشيد.. والمماليك الذين تسللوا إلى العسكرية فى عصر محمد على..

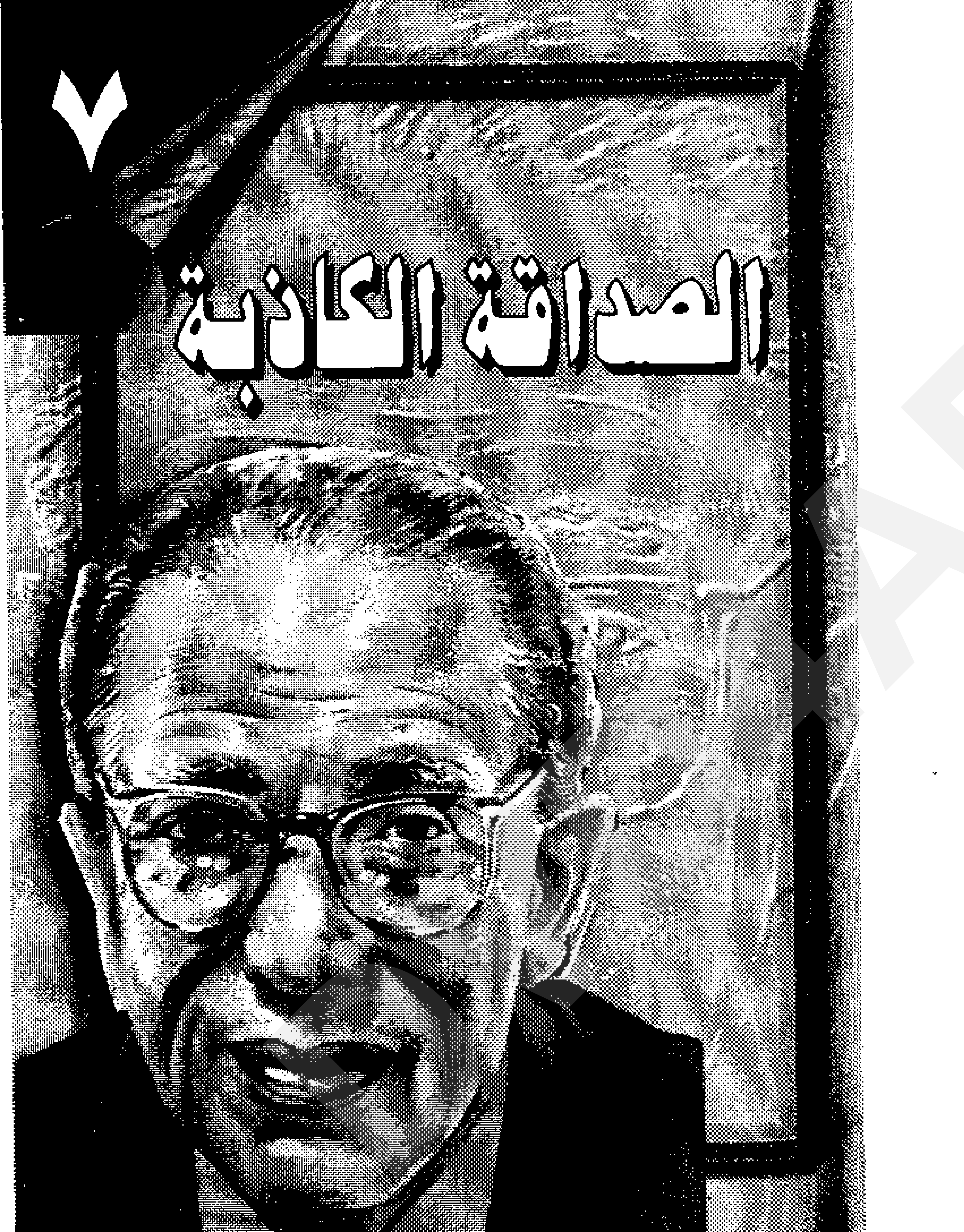
والسيادة الإسرائيليـة ظرفية ومـوقوتة ولـن تدوم فالـولد المطيع الـذى أغدق عليهم المال وفتح لهم الخزائن لن يبقى لهم إلى الأبـد.. والظروف السيـاسية التى أتت بهم ســوف تتخلى عنهم.. ونهايتهم ستكون مثل نهاية البرامكة ومثل نهاية المماليك فى مذبحة القلعة.

إن التاريخ يعيد نفسه هذه المرة على اتســاع الرقعة العالمية وليس فى قصــور بغداد وقلعــة المحــروســة.. ولنفس الأسبـاب.. فالنمـو السرطانى لا يمكن أن ينتهى نهايــة طبيعية لأنه هو نفســه نمو غير طبيعى.. بل نمو متطفل.. نهايته الموت الحتمى إذا انقطع عنه الغذاء وامتنع عنه الدم.

إضبطوا ساعاتكم..

إسرائيل تتسـارع إلى ذروتها ثم يبدأ العد التنازلى للنهاية.

والأربع سنوات القـادمة هى ما تبقـى من عمرها.. قـد تقل.. وقد تزيد الله أعلم.. ولكن الانهيار مـؤكد.. والسعداء هم المكتوبون عند الله أسبــابا لهذا الانهيـار وعوامل مســاعدة لتقويـض هذا الظلم.. فبهم سوف تتم العبرة وسوف تعلو الحكمـة الإلهية.. بأنه لا يصح إلا الصحيح.


٧
الصداقة الكاذبة

إن إسرائيل تـدعى دائما أنها صـديقـة لمصر.. ولكن تـرسـانتهـا النووية التى وضعتها على حدودنـا تطعن فى هذه الصداقة.. فكيف يلجأ الصديق إلى إرهاب صديقـه.. والإرهاب سلوك لا يلجأ اليه إلا عدو.

وإذا كانت إسرائيل لا تطمئن إلينا فكيف نطمئن إليها.

وحكاية أن الترسانة النـووية الإسرائيلية مقصود بها ايران.. هى نكتـة فالتـوراة المتـداولـة والتى يتلوهـا كل اسرائيلى هى منشـور سياسـى ضد مصر وأكثر آياتها تهدد مصر بالويل والثبور وعظائم الأمور.. ولا تذكر حرفا واحدا عن إيران.

والتوراة تطلق على مصر اسم .. « بيت العبودية ».

ونقرأ فى الإصحاح « الحادى عشر من سفر أشعيا ».

« ويبيـد الرب لسـان بحـر مصر ويهز يـده على النهر بقـوة

ريحه ويضربه إلى سبع سواق يعبر فيها بنو إسرائيل بالأحذية وتكون سكة لبقية شعبه كما لإسرائيل يوم الخروج من أرض مصر».

« فهذه نبوءة بغزو إسرائيلى لمصر.. يدخلونها بالأحذية كما خرجوا منها فى حماية الرب منذ آلاف السنين».

وفى الإصحاح ٤٣ من نفس السفر:

«لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك جعلت مصر فدية لك » فنحن إذن خروف الضحية يذبحه الله فدية لشعبه الحبيب إسرائيل .

وفى مكان آخر من نفس السفر يقول الرب « **أهيج مصريين على مصريين فيحارب كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة وتراق روح مصر داخلها وتضيع مشورتها فيسأل كل واحد العرافين والتوابع والجن وأغلق على المصريين فى يد حاكم قاس فيتسلط عليهم».**

وتجف الحياة من البحر ويجف النهر وتنتن الأنهار وتضعف السواقى ويتلف الزرع وتجف الرياض والحقول على ضفاف النيل.. والصيادون لا يجدون صيدا .. وكل من يلقى بشص إلى النيل ينوح.. ويكتئب كل عامل بالأجرة.

لقد ألقى الرب عليها روحا شريرة أوقعت مصر فى ضلال وأضلت أبناءها فإذا بهم يترنحون كالسكران فى قيئه فلا يكون لمصر عمل يعمله رأس أو ذنب.

فى ذلك اليوم تكون مصر كالنساء ترتعد وترتجف من يد رب الجنود وهو يهزها.

وتكون أرض إسرائيل ويهوذا رعبا لمصر.. كل من ذكرها يرتعب.

إن الرعب المطلوب إذن ليس لإيران.. ولا ذكر لإيران فى التوراة.. ولكن الرعب المطلوب هو لمصر ولأهل مصر.. والحقد كله على مصر وعلى أهل مصر.

والمطلوب أن يرتعد رجال مصر كالنساء رعبا من إسرائيل.

يتلو اليهود كل يوم هذه الكلمات المسمومة فى توراتهم ويخططون سياستهم على وفاقها.. وهم قد وضعوا ترسانتهم النووية على حدود مصر لإرهاب مصر.. وحتى يرتعد رجال مصر كالنساء رعبا من قوة إسرائيل.

وهذه هى الصداقة الإسرائيلية.. والصداقة الأمريكية تأتى فى ركابها.. ولقد دافعت أمريكا عن نهب إسرائيل لأراضى القدس بإصدار فيتو فى وجه مصالح العرب جميعهم.. وجاء البنك الدولى وصندوق النقد الذى يسير فى ركاب الاثنين بنصيحة مدمرة للاقتصاد المصرى هى تخفيض قيمة الجنيه.. وهى نصيحة خسفت باقتصاد المكسيك وأنزلته إلى الحضيض.

وقال الدكتور عاطف صدقى : إن هذه النصيحة سوف تدمر اقتصادنا.. ورفض أن يعمل بها.

وهؤلاء هم أصدقاؤنا ياسادة.

وهل من شيمة الصديق أن يضر صديقه..؟؟ أو يدمر اقتصاده.

إن اتهامنا لا يأتى من فراغ.

إنه يأتى نتيجة نظر فى التاريخ وفى العقيدة التى تحكم حركة هؤلاء الناس وفى سجل أعمالهم وفى صحيفة عدوانهم التى لا يمر

يوم دون أن يضيفوا إليها الجديد فى أعمال القتل والنسف والحصار والتشريد.

وما وجدناهم وعدوا إلا أخلفوا ولا واثقوا إلا كذبوا.. وما وصفهم الله فى قرآنه بالمفسدين ظلما.. تعالى ربنا عن ذلك علوا كبيرا.. فكيف نصف أفعالهم تلك بالصداقة والإخوة.. وكيف نطمئن إليهم وهم لا يطمئنون إلينا.

وكيف نطالب شعوبنا بالتطبيع والتعامل الودود مع مثل تلك الخصال.. إن الأيدى تتصافح أمام التليفزيون والقلوب كل قلب فى واد.. وكلمات السلام تموت على الشفاه بلا معنى.

والسلام كلمة يتيمة الأبوين كل واحد يدعيها لنفسه دون شهادة ميلاد صحيحة ودون إثبات.. وآخر عهدنا بالسلام كانت حرب الخليج التى خطط لها الرئيس بوش وادعى انها كانت لخدمة السلام والحقيقة انها كانت لنهب الثروات الدولارية والبترولية للمنطقة ولإغراق البيت العربى فى أحقاد عربية عربية لا تنتهى.. وقد عادت الجيوش الأمريكية وتركت المعتدى يشاغب ويهدد كما يشاء دون أن تمس شعرة من رأسه.. ومازالت نيران الحقد مشتعلة.

إننا نسير فى حقل ألغام وفى بحر من الرمال الناعمة.. وهذا شعور أسمعه من كل مصرى ومن كل مستمع إلى الأخبار أو قارىء للصحف أو متأمل للأحداث.

ومطلوب وقفة صدق مع النفس ومع الطرف الآخر.. فلن يكون هناك تقدم ولو شبرا واحدا.. بالافتعال.. وبالمانشتات الصحفية المصطنعة.. وبالتصفيق الفج.. وبالتذرع بالأمانى والأحلام.

هناك صراع عربى إسرائيلى على كل المستويات والأصعدة.

وعلى الطرف الإسرائيلى أن يبرىء نفسه بالأفعال.. وأن يبدأ بإزالة ترسانته النووية من حدودنا.. قبل أن يكون هناك حديث فى أى موضوع وقبل أن يسمى نفسه صديقا أو حليفا أو حتى جارا يدعى المسالمة لجاره.

والسياسة حسابات وليست مقامرة.. ولا يوجد رئيس يقامر بشعبه.. وقد دخل عبدالناصر بشعب مصر وبكل العرب فى حرب ٦٧ الخاسرة.. ولن نقبل مقامرة أخرى.

إن الاجماع الكامل وراء الرئيس مبارك والفرحة الشعبية بنجاته والتأييد الكاسح لسياسته هو قوة تفاوضية جديدة يمنحها الشعب لمبارك وسند إضافى يقوى به مواقفه على المائدة السياسية مع أطراف المشكلة العربية الإسرائيلية.

إنه الآن لم يعد صوتا واحدا ولكنه أصبح مائة مليون صوت فى مقابل خمسة ملايين صوت إسرائيلى تريد كل شىء مقابل لا شىء.

إن إسرائيل تريد التطبيع الكامل مع مصر وترفض أن ترفع سوط التهديد النووى عن حدودها.

والذين أعطوك البيعة ياسيادة الرئيس يريدون مستقبلا آمنا لهم ولأولادهم ويرفضون هذا التهديد.

وهم مائة مليون عربى.. ولهم عليك حق عرب.

ولا تشغل نفسك بالسودان ياسيادة الرئيس فما كانت الأيدى المعتدية سوى الأداة الرخيصة التى استأجرتها الأموال المتآمرة بفائض مضارباتها البنكية فى ذلك اليوم.

والاشتباك مع السودان هو منتهى أمل هؤلاء المتآمرين الكبار.

منتهى أملهم أن ندير ظهرنا للقضية ونضرب بعضنا بعضا.

وذلك أكبر عائد يحققونه لأنفسهم بذلك الشيك التافه الذى قدموه للمعتدى.

ولن يصل المتآمرون إلى مرادهم أبدا فالله سوف يحرس هذا البلد واسم بلدنا فى كتب التاريخ سيظل دائما.. «مصر المحروسة».

قطـــر ومســـقط

منتهى أمل إسرائيل أن يتصرف العرب كقبائل متفرقة متناحرة لا تجتمع على شيء.. وقد أقامت سياستها على هذا المفهوم.. فحاولت أن تنفرد بكل طرف بعيدا عن القطيع وتغلق عليه الأبواب فى محادثات سرية.. فعلت هذا مع كل الأطراف.. وهو أسلوب لئيم يبحث عن نقاط الضعف ويلجأ إلى الإيقاع والتفريق لا إلى الصراحة والمواجهة.

وكان الصديق الأمريكى الكبير يأخذ الأطراف واحدا واحدا فى معازل داخل الغابات والمنتجعات الريفية وفى غرف مقفلة وقاعات معزولة لا يدخلها صحفى ليتم حصار المفاوض العربى بكافة وسائل الضغط والغواية حتى يسقط من التعب والإرهاق.

أسلوب عصابات وليس أسلوب دول محترمة.

ومحادثات أوسلو التى أدت إلى سقوط عرفات كانت لونا من ألوان هذا التحايل.

وقد سارعت قطر ومسقط إلى طلب القرب وإلى السكة التى ظننا أنها سكة السلامة فأرادتا أن تسبقا إليها الآخرين.

وسمعنا صوت قطر فى اجتماع شرم الشيخ يهرول إلى شمعون بيريز ويقول: أبواب قطر مفتوحة لك تحل فيها متى تريد بدون دعوة ياسيادة الرئيس.

هى مسرحية تاريخية عجيبة ولا شك.. والأبطال يسارعون إلى حتوفهم فى استسلام قدرى غريب.

وإسرائيل تعلو وتعلو.

وهذا أمر يدعو إلى الاطمئنان فهذا دليل على أن الرواية لن

تطول.. وأن النهـاية تقترب فالفصـول تتابع هرولـة وقفزا.. ونحن نوشك على العلو الكبير الذى تحدث عنه القرآن.. وبالتالى نقترب من الختام.

ياعرب اقرأوا قرآنكم وتدبـروا معانيه.. ولا تتعجلوا مكاسب اليوم ولا مصالح الساعة وحاولوا أن تحجزوا لكم مكانا فى المستقبل.

فالمستقبل سوف يختلف كثيرا عن الحاضر.

والسنوات القادمة هى الخافضة الرافعة التى سوف تجعل الذين فى الأعالى فى الأسافل والذين فى الأسافل فى الأعالى.

افتحوا أعينكم على الجرف الهاوى الذى تقفون عليه.

إن ربكم لا يكذب.

وهل يستطيع أحـــد أن يتكلم بيقين عن المستقبـل غيره.. وهـــو الوحيـد الذى بيـده مقاليـد الأزمنة والمقـادير والأعمار.. والمستقبل بين يديه كالآن.. والتاريخ تحصيل حاصل.

ياأمة القرآن.

من أصدق من الله قيلا؟؟!!!

إنما هـو الفـرز النهائى بين المصـدقين والمكـذبين وبين النـاجين والهالكين.. وليس قـرآننـا وحـده الـذى يقـول هـذا الكـلام ولكن أنـاجيلهم وتـوراتهم.. ثم أكثـر مـن هـذا واقعهم الـذى يتحـدث بأفصح من كل كلام.

أقليـة من شـذاذ الآفـاق تصعد بـالحيلـة والمكـر على هـرم من الأكاذيب.. وتتصور أنها يمكن أن تسود العالم بتلك الأكاذيب.

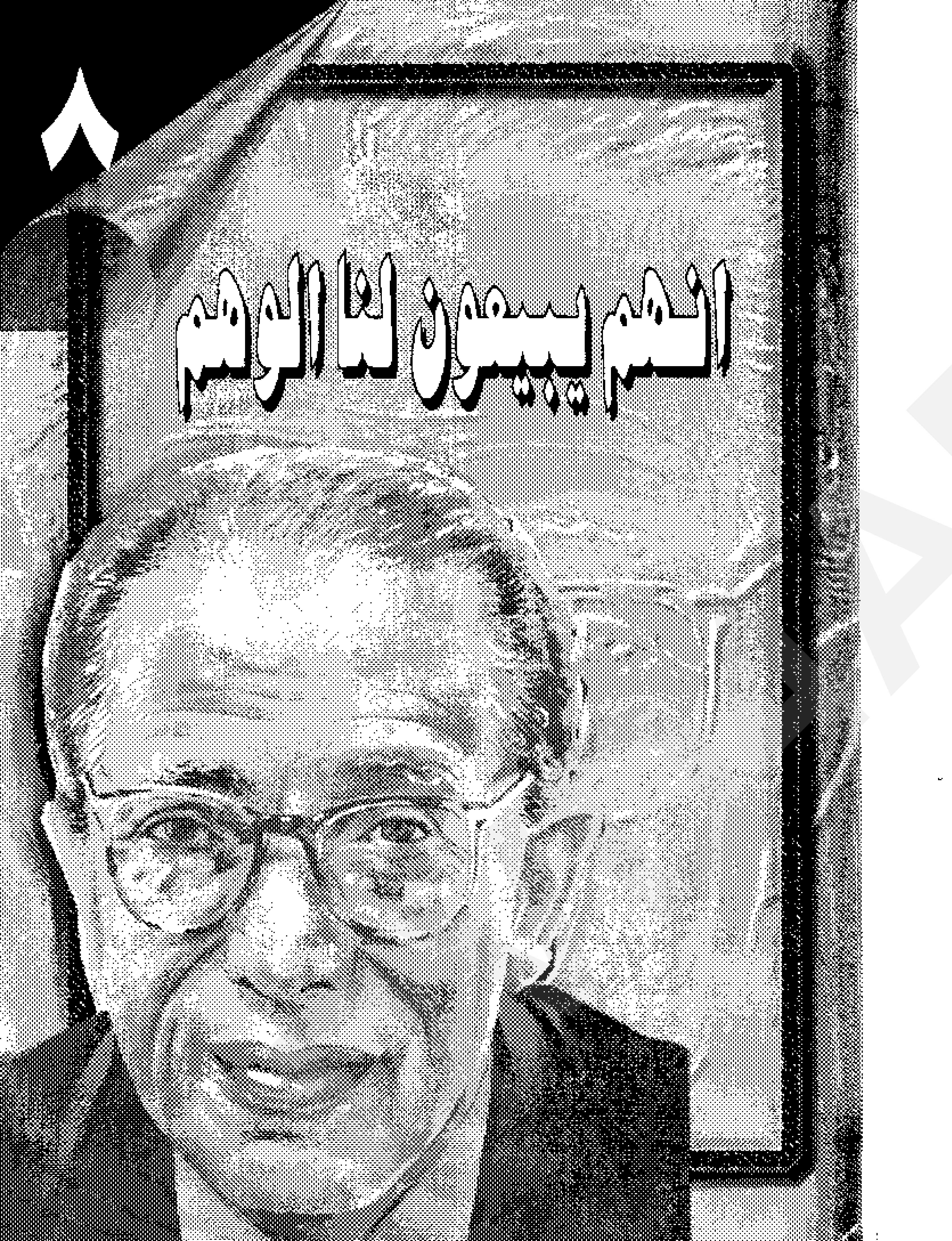
نباتات طفيليـة متسلقة تسلقت على الأشجار الأمريكيـة العملاقة

لتصل إلى عين الشمس ودفعت بأجهزة الإعلام التى تملكها لتصفق لها.. وتملأ العـالم بـدوى الطبـول الفـارغـة.. وانخـدع العرب وتسـارعوا كل واحـد يحاول أن يحجز مكـانا فى سفينـة المستقبل التى سـوف تحملهم إلى بـلاد الكنـوز والأحـلام وإلى أرض اللبن والعسل.. ولا شـىء هناك سوى الأكاذيـب.. وسوى الرعب النووى والأسلحـة الكيميائيـة والسيطرة الاقتصـاديـة والإفساد والإفقـار والتهديد والإذلال.. وحقد مئات السنين يحاول أن ينتقم لنفسه.

وأحـلام السيادة والعنصريـة.. والنازيـة الألمانيـة تعود فى ثـوب جديد رهيب مسلح بالمخالب النووية.

والزعماء العـرب الذين هرولـوا.. إنما هرولوا وجرجـروا شعوبهم إلى هاويـة.. افتحوا العيون يـاسـادة.. وأصيخـوا السمع.. فلاشـىء هناك سوى القتل.. فهم يلقون بقنـابل على الجنوب اللبنانى.. وهم ينسفون البيـوت فى فلسطين.. وهم يضربون حصـار الجوع حول الأبرياء.. وهم يلقون بالمئات فى السجون.

وحاشـا لله ولا أقول انه قد أصابنا جنون البقر.


٨
انهم يبيعون لنا الوهم

يتحدثون عن ثقافة السلام.. !!

أين هو ذلك السلام الذى يتحدثون عنه.. والحقائق تقول: إن إسرائيل قامت بخمس عشرة عملية تجسس عبر سيناء مشفوعة بمحاولات لترويج المخدرات والعملات المزيفة إلى بلدنا فى عهد السلام السعيد.. وهذا كلام صحافتنا القومية وليس كلام صحف المعارضة وهو ماتم ضبطه حتى الآن وما خفى كان أعظم..

وعلى بعد كيلو مترات قليلة من حدودنا تضع إسرائيل ترسانتها النووية وتزودها بما تشاء من قنابل ميكروبية ورؤوس كيمائية.. وترفض أى مفاوضات بشأن إزالتها وتضاعف من أسلحتها القتالية كل يوم بضمان من أمريكا بأن تظل متفوقة عسكريا على مجموع ماعند الدول العربية من سلاح.. ومن وراء الحكومة الاسرائيلية شعب يقدس القتلة أمثال باروخ جولدشتين وإيجال عامير.. رموز الحقد والكراهية لكل ماهو عربى.

وتحت هذه المظلة من الرعب يرسلون الوفود ويباشرون المفاوضات.. ويقولون: التطبيع أولا.. تطبيع على ماذا.. ؟ وكيف يغامر رئيس حكومة عربى بشعبه فى مقابل صفقات من الوهم.. وكيف نضع أيدينا فى أيدى من يتجسس علينا وفى أيدى من يقتل أسرانا غيلة.. ومقابر سيناء الجماعية شاهدة عليهم وعلى أيديهم الملطخة بالدم.

وهذا ربنا يقول عن مواثيقهم:

«لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون» (٧٠ ـ المائدة).

وتلك مواثيقهم مع الله..

كيف نصدقهم..؟!!!

وكيف يأتمنهم حاكم على شعبه والله أحكم الحاكمين لم يأتمنهم ولعنهم وشتتهم وقطعهم فى الأرض أمما وضرب عليهم الذلة والمسكنة أينما كانوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس.

وبذلك الحبل الممدود من الناس (أمريكا والغرب) استأسدوا علينا وعلى الدنيا.

كيف يستقيم الحكم لحاكم دون أن يدخل كل هذا فى حساباته..؟!!!

نعم نريد السلام .. ولا أحد يرفض السلام.. ولكن مايجرى حولنا ليس سلاما.. بل تكديس للسلاح وارهاب بالتهديد النووى وتجسس وتخريب للاقتصاد بالعملات المزيفة وإفساد بالمخدرات وحصار بالتحالفات العسكرية ومعاهدات للدفاع المشترك مع هذا وذاك تحسبا لمواجهة يرونها محتومة.. بينما نحن غرقى فى شهر عسل السلام.

ومازالت المستوطنات الإسرائيلية الجديدة تبنى فى داخل القدس والضفة وحول الجيوب المعزولة المحاصرة التى أسموها بالدولة الفلسطينية بمعدل ألف وخمسمائة فدان من الأرض تستولى عليها إسرائيل شهريا رغم أنف السلام المزعوم.. وهذه إحصائية الجامعة العربية وليس كلام جرائد.

ومازالت إسرائيل تحاول أن تقتطع حصة من الجولان السورية وتساوم على القيراط والذراع والشبر وتشترط عليها بناء مراكز استشعار وبث العيون من حولها فى الأرض والجو.. ولا أمان.. ولا اطمئنان.. ولا ثقة.. ولا صدق فى أى شىء.

والسلام العربى الإسرائيلى يتحول بالتدريج إلى ذريعة للتدخل فى كل صغيرة وكبيرة فى شئون المنطقة تحت ستار مشروعات مزدوجة وشراكة ومعونات وقروض ظاهرها الرحمة وباطنها الاستيلاء التدريجى على مقدرات المنطقة وإدارتها لصالح استعمار جديد يتسلل إلى الماء الذى نشربه واللقمة التى نأكلها والقمحة التى نزرعها وفتلة القطن التى ننسج منها ملابسنا والكلمات التى تنشر أو لا تنشر فى صحفنا والأفكار التى نتداولها وما نحب وما لا نحب وما نقبل وما نرفض وما نعتاد وما لا نعتاد.. تحت مسميات بريئة.. مثل ثقافة السلام واقتصاد السلام وأدب السلام وضرورات السلام.. إلى آخر هذه الكلمات الخادعة المضللة وبالونات الدخان التى يطلقونها للتعمية ولستر عملية التسلل التى يقومون بها فى دهاء.

هناك مشروع خبيث للتسلل البطىء والتدريجى والتدخل السرطانى فى نسيج حياتنا.

والضغط المتواصل والسخيف على الرئيس الأسد يحدث مثله

على جميع الأصعدة وتعتمد السياسة الأمريكية على سياسة.. العصا والجزرة.. التى يستخدمها مدربو الوحوش لإدخال النمور فى أقفاصها.. الإغراء والتهديد بما حدث للمشاغبين أمثال صدام والقذافى وما جرى على العراق وليبيا وما أصاب الشعب الليبى والشعب العراقى بسبب العناد.. وماجرى على أهل العناد من مسلمى أوربا وآسيا فى البوسنة والشيشان.. والنصح الخبيث بأن التفاهم أفضل والتعاون مع السيد الإسرائيلى والحليف الأمريكى أفضل.. فأمريكا هى القوة الوحيدة القادرة فى العالم وإسرائيل هى الدولة الديمقراطية الوحيدة فى المنطقة وهى رمز التقدم والاستقرار.. ولكن الحقيقة هى العكس تماما.. فأمريكا هى أكبر دولة مدينة فى العالم. وهى مهددة بالإفلاس وبالانهيار من داخلها بصراع الأبيض والأسود وبغول المخدرات والإيدز والانحلال الأسرى.. والبنيان الإسرائيلى يتآكل من داخله بصراع الفلاشا والاشكيناز وصراع يهود الشرق ويهود الغرب وأصولية الحاخامات وانتهازية الساسة وشح الماء وتصحر التربة.

ولن تنتصر إسرائيل ولا أمريكا فى مخططهما ولن يمضى مشروع السلام إلى غاياته الخبيثة ليس لأن العرب أقوياء أو عباقرة.. ولكن لأن الكون تحكمه إدارة غير إدارة البيت الأبيض ويرأسه عظيم غير كلينتون.. والدنيا لها رب يحفظها من الفساد والمفسدين.

والله الذى خلق العرب والأمريكان والإسرائيليين يريد للمنطقة شأنا آخر ونهاية مختلفة غير ما يحلم به الكنيست.

إن القوة الوحيدة التى تقف عقبة أمام الحلم الإسرائيلى الأمريكى هى الإسلام وقد حاولوا تشويهه واستعملوا الأيدى

العربية والرايات العربية التى ترفع شعارات الإسلام واشتروا الضمائر الخربة واستغلوا التمزق الموجود فى الصف العربى.. وجعلوا من الدين (وبأيدى أهله) محضنا لتفريخ الإجرام والإرهاب وترويع الناس.. وحرضوا الكل على الكل واتفقوا مع الكل من وراء ظهر الكل واستخدموا مكرهم وسذاجتنا واتحادهم وتفرقنا ليصنعوا المأساة التى نعيشها اليوم.

منعطف خطير

والراصد للمناخ الفكرى والاجتماعى الذى نعيش فيه يكتشف ان هناك اتجاهات غوغائية لاستخدام الدين كمنصة لإطلاق صواريخ الهدم والتخريب والبلبلة ونشر الفوضى.

الذين بدأوا بحسن نية جهدا بناء فى موضوع الاقتصاد الإسلامى والبنوك الإسلامية والتوظيف الأمثل للمال.. مالبث أن خرج عليهم من قام بتكفير البنوك جميعها ومن وصمها بالربوية ونهب المال الخاص والعام.. ثم خرج من عباءة هؤلاء عصابة من أصحاب الجلابيب واللحى والمسابح تنشىء فيما بينها شركات توظيف أموال إسلامية وتعد المساهمين بأرباح تتجاوز الخمس وعشرين فى المائة بطريق المضاربة الإسلامية الحلال.. وفى خلال شهور كانت الملايين تتدفق فى جيوب الريان والسعد والشريف والهدى وما لبثت أن تجاوزت المليارات ثم اتضح عجز هؤلاء الناس عن استثمار تلك المليارات ولجوؤهم إلى قنوات مريبة مثل الاتجار فى العملة والمضاربة على أسعار الذهب وإيداع أموال الناس فى البنوك الأجنبية بالربا.. (الربا الذى لعنوه من قبل وقالوا فيه.. لأن ينكح الرجل أمه أهون من يودع ماله بالربا) واتضح انهم كانوا يعطون عملاءهم تلك النسبة العالية من الأرباح من ودائع الآخرين وليس من الاستثمارات الحلال التى يجمعونها.. ثم كانت

فضيحة كبرى.. ومحاكمات.. وسجون.. وضاعت أموال الناس الطيبين.

ثم جاءت الموجة الثانية وطلع علينا دعاة إصلاح دينى من لون آخر أخطر.. أصحاب لحى ومسابح وجلابيب يحملون الكلاشنكوف والقنابل اليدوية.. يقتلون الناس ويفجرون المرافق وينسفون المنشآت.. بدعوى أن الديار ديار كفر ومن التقوى هدمها وإزالتها.. ثم اتضح أن وراءهم منظمات ومعسكرات تدريب وملايين الدولارات تتدفق من بنوك أجنبية.. وصهيونية ماكرة تستعملهم لتمهيد الأرض وحراثتها حسب مخططات معلومة لهدم الإسلام بالإسلام وهدم الحائط المصرى.. العائق الوحيد الذى يقف أمام إسرائيل الكبرى.

ثم جاءت الموجة الثالثة على استحياء.. هذه المرة بهدف التفتيش فى الضمائر واتهام النيات.. وسلاحها الجديد هو «دعوى الحسبة» وحق المسلم فى تجريم وتكفير من يرى أنه من أهل الزيغ والباطل عملا بالمبدأ القرآنى.. «**الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**». وهو تفسير سيىء وخاطىء لنظام الحسبة.

والمبدأ القرآنى لا يحمل هذا المعنى أبدا.. لا يدعو إلى التفتيش فى الضمائر واتهام النيات وقراءة ما بين السطور.. ثم أن دعوى الحسبة لا يمكن أن توضع فى يد أى إنسان بلا ضوابط.. وإطلاقها للكل معناه عودة محاكم التفتيش.. وسجون ومشانق العصور الوسطى.. وإذا كان البابوات قد فعلوها.. فليس فى إسلامنا بابوات.. والتفريق بين المرء وزوجه هو من أعمال الجن والسحرة.. ولا يليق بمسلم يتقى الله.

وإذا فتحنا هذا الباب فسوف يتوقف الاجتهاد وتموت الصحوة الإسلامية فى مهدها.

ولقد كنت هدفا لتلك الموجة حينما أصدرت كتابى..« القرآن محاولة لفهم عصرى».. فطلع من السودان كتاب أسود فى حقى من تأليف محمودمحمد طه يتهمنى بالكفر والضلال.. وقد شنق هو نفسه بعد ذلك بنفس التهمة.. شنقه حكم قضائى فى عهد النميرى.. ولم يكن الكتاب الوحيد الذى اتهمنى بل تلاه عدة كتب.

واتهمت حينذاك بأنى قاديانى وبأنى بهائى.. وأوقف الكتاب من التوزيع فى مصر.. ثم أفرج عنه بتدخل شخصى من الشيخ عبدالحليم محمود شيخ الأزهر حينذاك والدكتور عبدالعزيز كامل وزير الأوقاف.. والدكتور عبدالعزيز كامل كان من الاخوان والشيخ عبدالحليم محمود كان صوفيا عالى المقام.. ولولا هذان الرجلان المستنيران لظل كتابى إلى الآن فى المخازن.

إن التفتيش فى الضمائر من عمل الله وحده.. ولا يجوز أن نتهم بالكفر من يقول لا إله إلا الله.. والذين أخذوا الإسلام بالوراثة وبدون اختيار وإعمال فكر لا يصح أن يتهموا بالردة إذا طرحوا موروثاتهم الإسلامية ومسلماتها وبدأوا فى إعادة النظر وإعمال الفكر.. فهذا حق كفله الله للمسلم.. إنه من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.. والمسلم بالوراثة وبدون فكر صاحب حق عند الله فى أن يعيد النظر ويفكر ويقبل أو لا يقبل دون أن يخرج عليه واحد ليقتله باسم حد الردة.. إنما الحد ينطبق فقط على من آمن ابتداء باقتناع ذاتى وقبول شخصى.. ثم ارتد بعد ذلك وخان أمانة عقله واختيار قلبه لهوى أو مصلحة وأخذ جانب أعداء الدين.. فهو بهذا المعنى ينطبق عليه ما ينطبق على الجاسوس الذى انضم لأعداء وطنه وخان بلده.

وليس فى سنة الإسلام تكبيل العقول ولا سجن الأفكار.

والله لا يحب الذين يأتونه يقولون «**حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**» (١٠٤ المائدة).

بل هى فى القرآن تهمة أن تأخذ الدين تقليدا عن الآباء دون اقتناع ودون إعمال عقل.

والله لا يحب أن تأتيه كرها.. وغصبا.. بسيوف الآخرين.

وهو يقول لنبيه.. «**أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**».

ويقول له : « **إن عليك إلا البلاغ**».

وإذا كان القرآن يأخذ الجزية ممن يرفض الإسلام ويبقى على دينه.. فإنما هى ضريبة دفاع لأن جيوش المسلمين سوف تتولى الدفاع عن ذلك النصرانى أو اليهودى.

وتسقط الجزية عن المسيحى الذى يدفع ضريبة الدفاع لبلده.. وعن المسيحى الذى يقاتل مع المسلم جنبا إلى جنب دفاعا عن الوطن.. وقد حارب معنا المسيحيون بالفعل فى الهجمة الصليبية الماضية.

والله لايعاقب الذى لم يقتنع بالإسلام واختار دينا آخر.. لايعاقبه فى الدنيا وإنما يدخر عقابه للآخرة لأنه ساعتها سوف يعاقب نفسه بنفسه حينما يرى الله ويرى أى جنة ورضوان حرم نفسه منها.. « كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».

والإسلام دين حرية بمعنى الكلمة.. لأن المسئولية فى الآخرة سوف تنبنى على تلك الحرية فى الدنيا.

وهذه الزوبعة بملاحقة الناس والتفتيش فى ضمائرهم وعقولهم جريمة لا تليق بمسلم مستنير وهو عمل ضد الدين وضد الإسلام.

والفكر يرد عليه بفكر.. والرأى الزائغ يرد عليه برأى يقومه.. والضلال يرد عليه بهدى.. والعلم الناقص يرد عليه بعلم أكمل منه.. أما العودة الى اعتقال المفكرين وتطليقهم من زوجاتهم بتهمة الزيغ والشطح.. فهو تخلف وتعصب لايليق بمسلم.

وأن تصدر عن المسلمين كل تلك الدعوات الجاهلة.. هى مسألة تدعو للنظر وهى تدل ولاشك على الخواء الدينى وعلى نقص المعلومات الدينية الضرورية للمسلم وعلى تقصير جهات الدعوة فى بلدنا وتقصير الصحافة وتقصير التليفزيون فى توصيل المعلومة الإسلامية فى رحابتها وسماحتها وسموها للقارىء والمستمع والمشاهد.

والإسلام فكر وحوار وتدبر وتأمل ومناقشة لكل وجهات النظر.. وليس مجرد تلاوات وتجويد وترتيل للقرآن وزيارات عمرة وإطالة للحى وطقطقة بالمسابح.

التدين حالة وجودية تشمل المتدين بكليته وتنقله من حال الى حال.

والمسلم فى أزمة ترق مستمرة وفى حوار مع نفسه ومع ربه ومع كل مايجد فى عصره من علوم وكشوف وأفكار وفلسفات.

المسلم ليس كائنا كهفيا معزولا فى الماضى.

المسلم ليس مواطنا للعصر العباسى أو الأموى وليس تابعا للخلافة العثمانية المسلم نهر متدفق متجدد لايصحو على يوم مثل الآخر ولاينام على ليلة مثل الأخرى وإنما هو نهر مستوعب مفتوح لكل رافد جديد يصب فيه.. المسلم الذى لايهتم بثورة المعلومات والكومبيوتر وأخبار العالم عبر الأطباق والذى يغلق عقله على مخطوط قديم ولايسمح بطارق العصر وبالجديد فى علوم الفضاء وغوامض الكون ان تطرق بابه مقصر فى واجبه ومقصر فى إسلامه.

إن قرآنه يقول له كل يوم «اقرأ باسم ربك».

ولو أنه قرأ فى علوم الفضاء وتعمق فى غوامض الكون فسوف يزداد إيمانه وتزداد رهبته وخشوعه وتقواه وتزداد صلاته خشوعا وعمقا.

ومزيد العلم للمسلم هو دائما مزيد إيمان.

لاتقاطعوا العصر.. فالعصر عصر مدد وفيض وأنوار متدفقة.

وعصرنا ليس كله دعارة وشذوذا جنسيا وانحلالا وفسقا.. نعم فيه كل هذا.. ولكن فيه أيضا ديمقراطية وحقوق إنسان.. ورؤساء حكومات فى أكبر الدول يُسألون أمام المحاكم.. وفيه فيض غامر من العلوم المثيرة للعقل.. وفيه فنون رفيعة.. وفيه أدب راق.. وفكر متنور..

وإذا كان الله يدع أمريكا رغم ظلمها فلأنها ترصد الميزانيات الهائلة لتلقى فى الفضاء بمنظار مثل.. هابل.. يجوب الفضاء ليفتح أعين العلماء على المجاهيل البعيدة.. هذا عمل فدائى ومال يبذل بسخاء للمعرفة وليس للاستعمار.. وهو بالمفهوم الدينى.. عمل صالح.. ومثل ذلك ما يرصد من أموال هائلة لبحوث علاج السرطان.. ولمعرفة سر الحياة.. واكتشاف الجديد فى عالم الذرة والمجرة والميكروب والنبات والحيوان.. وما يبذل من مليارات لإنقاذ البيئة من التلوث.

إن البحث العلمى (وتكاليفه بمئات المليارات) هو القاطرة التى تقود مسيرة التقدم فى العالم كله.. وإذا كنا لانقدر فى بلدنا على هذه التكاليف الباهظة.. فهناك من يقدر عليها.. وعلينا ان نتعلم منه دون خجل ودون عقدة نقص.. فما تفعله أمريكا تفعله بتيسير إلهى.. والله يمدنا عن طريقها.. والله لايستحى أن يستخدم العصاه كما يستخدم الطائعين فيما يريد.

والله يسخر الأباسلة والشياطين ويسخر الملائكة لمشيئته.

ولا يخرج فى الكون أحد عن مشيئته وإن خرج عن رضاه.

وعلى المسلم أن يفتح عقله وقلبه لكل جديد ولو جاء به الخصم الذى لايحبه ولايليق بالمسلم أن يغلق عقله بترباس التعصب وأن

يعيش أسير الأفكار سابقة التجهيز.. والقرآن نفسه لايحض على الأفكار سابقة التجهيز ولايحب الخضوع الأعمى للموروثات.. بل يأمر بإرسال النظر فى كل شىء.

نحن فى حاجة لهذه الروح فى فهم إسلامنا حتى نصبح أهلا للترقى على الدوام.. وأهلا لنزول النفحات.

يقول الحديث القدسى:

إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها

ولايكون المسلم أهلا لتلك النفحات إلابفيض من التقوى وانفتاح كامل من داخله.

وبدون هذه الروح الإسلامية الجديدة التى تسارع لاحتواء العصر سوف يكون البديل مؤلما.. سوف تبادر الجبهة العلمانية لإزاحة الدين عن الطريق باعتباره عقبة كؤودا فى سبيل التقدم كما حدث فى بداية عصر النهضة فى أوروبا وسيكون عندها عذرها.. فهذا الدين جعل منه أصحابه محضنا لتفريخ الرجعية والإرهاب والفكر المعوق..

وسوف تمتد الأيدى بالمعونات وبالمال وبالفتن من الغرب ومن أمريكا ومن إسرائيل لترجيح كفة تلك الفتنة العلمانية ولن يكون الصراع متكافئا.. وستنتصر العلمانية فى مصر بأسرع مما انتصرت فى أوروبا.

بدون هذه الروح الإسلامية الجديدة سوف تتحول مصر إلى تركيا ثانية.

إن البديل مؤلم ولامخرج منه إلابنهضة اسلامية حقيقية وروح إسلامية شابة تجدد شباب هذا الدين وتحيى أجمل مافيه وتطرحه على العالم فى كامل بهائه وسموه كعقيدة رائعة تعطى صاحبها نعيم الآخرة ولاتحرمه من طيبات الدنيا.

يامسلمى العالم لاتدعوا دينكم يضيعه الغوغاء.

وتماسكوا وترابطوا واتحدوا وقفوا وقفة رجل واحد ضد هذا التطبيع الذى لايراد منه سوى التركيع والتمييع والتضييع للوجه التاريخى والعربى والإسلامى للمنطقة بأسرها..

لاتطبيع بدون ضمانات..

لاتطبيع إلابعد جلاء آخر جندى إسرائيلى من الأرض العربية وإزالة المستوطنات وعودة القدس إلى فلسطين وفك الترسانة النووية من على حدودنا.

فلن يصلح ولن يدوم إلا سلام الكرامة.

ولن ينفع التراضى على نصف حق ونصف باطل.

ولن يجدى صلح على تربص.

ولن تلتئم جراح أغلقت على صديد.

وتلك دروس التاريخ.

أمــريكائيــل

إن المنطقة العربية واقعة برمتها بين فكى رحى.. بين القهر الأمريكى والمكر الإسرائيلى.. وأمريكا تستنزف كل دولار من مداخيل البترول فى المنطقة مقابل فواتير نفقات القواعد العسكرية التى نشرتها على أرض المنطقة بزعم حمايتها.. مليارات يدفعها العرب لحماية أنفسهم.. حماية أنفسهم من من؟!!.. ولاخطر إلا من أمريكا وإسرائيل..

وهم يصنعون «بعبعا» من ايران ومن صدام ومن الإسلاميين.. وهم خيال مآتة.. يضحكون به علينا.. لابتزازنا.. والذى ينفخ فى نار صدام.. وفى نار التطرف الإسلامى.. هم أنفسهم.. وهم الذين آووا الإرهاب وأنفقوا عليه.. والخطر الوحيد خطرهم..

والذى استنزفنا حتى النخاع.. هم الاخوة أمريكا واسرائيل.. أو السادة أمريكائيل.. وماخطط الشرق أوسطية وأحلاف الأردن والعراق وإسرائيل وتركيا.. إلا أحلاف التطويق والإفقار القديم الذى كان اسمه حلف بغداد..

هل رأيتم قتيلا يتبرع بدمه لإنقاذ قاتليه

إن هذا القتيل هو (وللأسف الشديد) نحن

وما لنا من عدو يخشى خطره إلا ذلك الذى احتضناه فى وجد وحنان بين أذرعنا.


٩
مسلمون كلاما

نحن نشهد عصرا عجيبا لاتتورع فيه جهات القضاء من أن توجه المساءلة الى أعلى سلطة فى أمريكا وأوروبا فتتهم رؤساء فى كراسى الحكم بالرشوة والفساد وتقدمهم الى المحاكمة.. جميع الرؤساء فى اليابان من تاناكا الى مورياما اتهموا فى قضايا رشوة وعمولات واستغلال نفوذ.. العائلة المالكة البريطانية كلها ظهرت فى صحف الفضائح.. برلسكونى ومن قبلة جوليو اندريوتى وأربعة آلاف وزير ايطالى اتهموا باستغلال النفوذ وبعلاقات بالمافيا ورشاوى بالملايين.. كلينتون متهم حاليا هو وزوجته فى قضايا أراض وتهرب ضريبى.. ومن قبلة نيكسون أخرجوه من البيت الأبيض بقضية مشهورة.. زوجة ماوتسى تونج وعصابة الأربعة فى الصين.. وبيناظير بوتو فى باكستان.. ورئيس كوريا الجنوبية.. قدموا للمحاكمة ، ووقف الرئيس الكورى يعتذر للشعب عن جرائمه.. ستة وزراء سابقون فى الهند وثلاثة وزراء حاليون فى

حكومة ناراسيما راو مقدمون للمحاكمة الآن.. رئيس كولومبيا ارنستو سامبر مسجون حاليا بتهمة تعاطى أموال من عصابات المخدرات ومعه أكثر من الفين من كبار موظفيه.. رئيس بولنده أولكسى خرج من الحكم فى قضية تجسس لحساب روسيا.. رئيس البرازيل السابق.. ورئيس المكسيك.. حتى شيراك اتهموه فى شقة.. مجرد شقة..

وعلى النقيض من ذلك نجد فى شرقنا العربى السعيد نموذجا مثل صدام حسين سفاحا مجرما جرمه العالم كله.. نراه يتقدم للانتخابات فى بلده فيحصل على أغلبية ٩٩,٩٩٪ لم يحصل عليها خالق الكون جل جلاله حيما طرح على عباده خيار الايمان والكفر.. ونرى عيدى أمين فى أوغنده يقتل ثلاثمائة ألف من خصومه ويقدمهم طعاما للتماسيح وهو يدعى أنه مسلم وأنه يمثل المسلمين فى افريقيا.

هذا الجبروت الذى تحف به القداسة وتحرسه العصمة فلا يجرؤ صوت أن يرتفع ضده ولا قلم أن ينتقده ولا صحيفة فى بلده أن تمسه.. هذا النموذج الذى يفعل ما يشاء من إفك وظلم ولا يسأل عما يفعل.. لا يمكن أن نجد له مثيلا إلا فى العصور الوسطى .

ومثل تلك العصمة والقداسة تنزل دائما بأصحابها وتهبط بالبلد الذى تظهر فيه بينما ترتفع الحرية والنقد والمساءلة بأهلها وبلادها .

وحيثما توجد المساءلة توجد الديمقراطية ويوجد التقدم وتوجد النهضة ويوجد الاقتصاد المتطور والمفتوح .

وحيثما توجد ألوهية الحكام وعصمة الرؤساء يوجد الجمود

ويوجد التخلف ويوجد القهر والمذابح .. ويسود النفاق والمداهنة والشللية.. ويتخلف الاقتصاد.

والدول تتقدم وتنتعش وتعلو بقدر مافيها من مساءلة وبقدر سقوط الحصانة عن كبرائها وسقوط العصمة والتأله عن حكامها.. فلا أحد كبير على المساءلة ولا أحد فوق القانون.

والعصمة لله وحده وهو وحده الذى لا يسأل عما يفعل لأنه وحده الكامل الأبدى الذى لايموت.. أما نحن فكلنا نموت وكلنا أشباح زائلة تشيخ وتمرض ويحف بها النقص من كل جانب وكلنا من التراب بدأنا والى التراب ننتهى.. فكيف يسبغ أحدنا الألوهية والعصمة على نفسه.. وكيف تزدهر الأصنام الا فى أجواء الأكاذيب وعصور التخلف.

إن الذين ارتفعوا وتألهوا وأحاطوا أنفسهم بسياج العصمة.. كيف كانت نهايتهم..؟!!!

أطلق هتلر على نفسه النار.. وابتلع جورنج وهملر وجوبلز السم.. وعلق موسولينى عاريا من رجليه.. وأخرج ستالين من التابوت الزجاجى الذى حفظ فيه وألقى به فى حفرة.

إن الزعيم الذكى هو الذى يتخطى بعينيه ضجيج الهتاف والتصفيق وبطانات النفاق والتسبيح من حوله وينظر إلى مابعد.. الى ماوراء كل هذا الهيلمان الكاذب الذى يصنعه الخوف والأطماع والمصالح.. إلى يوم موته وما بعده.. حينما يقول الله لهؤلاء.

« أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون » (٩٣ ـ الأنعام).

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء » (٩٤ ـ الأنعام)

هذا هو قرآننا..

وبلادنا العربية المسلمة أولى بهذا المفهوم الديمقراطى المستنير كيف سبقنا الغرب العلمانى الملحد الى هذا الفهم السليم للمسئولية والمحاسبة.. أم أننا مسلمون كلاما.. وهم مسلمون سياسة واقتصادا وأخلاقا.

إننا إذن نستحق ما نحن فيه.

وسنظل غارقين فيما نكره حتى نفيق وحتى نتعلم من أعدائنا ما نسيناه من قرآننا.

وصدق الله العظيم.. « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم» (٢١٦ـ البقرة)

فالبلاء يجرى على الأمم كما يجرى على الأفراد لتصحو وتفيق.

والله يمتحن الكل بالسراء والضراء ليربيهم.

ولا أحد يعفى من سنن البلاء.

وميعادنا جميعا مع الموت قاهر اللذات ومؤدب الملوك.

ولن يفلت من مؤدب الموت مخلوق.

واسألوا أنفسكم.. هل كانت حرب العراق وايران تقوم لو كانت هناك مساءلة جادة لصدام بصددها.. وهل كان يزج بشعبه فى مغامرة غزو الكويت ويتمادى فى جنونه وأمريكا تجمع عليه العسكر من كل جنس ولون.. وهل كان عبدالناصر يغلق مضايق تيران ويخوض حرب تهويش ضد اسرائيل بدون استعداد وبدون خطة.. لو كانت فى مصر ديموقراطية حقيقية ومساءلة ومحاسبة فى مثل هذه القرارات المصيرية.

وهل كان هتلر يلقى بجيوشه لتحارب فى جبهتين فى وقت واحد.. مع انجلترا وأمريكا وفرنسا غربا ومع روسيا شرقا.. لو كان مسئولا أمام برلمان ديموقراطى.

إن التاريخ كله كان يتغير ويكتب من جديد لو كان هؤلاء المغامرون قد وجدوا رجالا يتصدون لهم ويحاسبونهم.

ولكن الله تركهم لكبريائهم وعنادهم ووكلهم لأنفسهم ليعطيهم درسا.. وليعطى الشعوب كلها درسا.. ان الحكم لا يصلح الا اذا كان شورى.. وأنه سبحانه خلق الخلق شعوبا وقبائل لتتعارف لا لتتنازع وتتقاتل.. وأنه خلقهم أحرارا ولم يخلقهم عبيدا لبشر مثلهم.

والدرس مازال يتكرر ويعاد منذ ثمانية آلاف سنة.. ولا أحد يفهم.. والحروب مازالت مستمرة.. وقد فعل هتلر ما فعله نابليون من قبله وفعل صدام ما فعله نيرون وهولاكو وكاليجولا.. ويلتسين يفعل الآن ما فعله الجبابرة الغابرون.. والجنون مستمر.

لفت نظر

جاء فى صحيفة «يديعوت أحرونوت» الاسرائيلية أن عددا كبيرا من الشابات اليهوديات أعربن عن رغبتهن فى الزواج من «إيجال عامير» قاتل رابين.. ورأين فيه بطلا وطنيا ومواطنا عظيما يحترم القوانين اليهودية.. وهو رأى يعنى رفضهم الكامل لتمثيلية السلام العربى الاسرائيلى واحتقارهم لما يجرى بشأنها.

وقد سمعنا ورأينا ما جرى فى العيد اليهودى أمام الحرم الابراهيمى وشاهدنا ألوف اليهود يصفقون ويهتفون وينشدون أناشيد القاتل باروخ جولدشتين الذى قتل أربعين من المسلمين الراكعين الساجدين فى أثناء صلاتهم بالحرم الابراهيمى.

وفى تل أبيب شاهدنا صور القاتل باروخ جولدشتين معلقة فى المتاجر والمكاتب وصالونات الحلاقة فى أطر محلاة بالزخارف والورود.

وهؤلاء هم الناس الذين تسارع زعامات قطر ومسقط والأردن فى تطبيع العلاقات معهم وتفتح لهم وزارة الزراعة فى بلادنا أبواب أرضنا المصرية يفعلون فيها ما يشاءون فى تطبيع غير مشروط ويتدافع العرب الى مشروع شرق أوسطى وإلى انشاء بنوك وروابط اقتصادية.. الله وحده يعلم بما يترصدنا فيها.

فهلا وقف هؤلاء وقفة استبصار وتفكروا فى طبيعة هذا الشعب الذى تجمع بعد شتات وزرع القنابل النووية والترسانات الميكروبية والكيماوية على حدودنا.. ومازال يرفض الانسحاب من الأراضى التى احتلها ويرمى الجنوب اللبنانى بالقنابل والصواريخ ويغير عليه بالطائرات.. وفى كل شبر أرض تخلى عنه للفلسطينيين أحاطه بالعسكر.. وقد اتخذ من القتلة باروخ جولدشتين وايجال عامير مثلا عليا يقتديها .

إذا كانت هذه قلوب هؤلاء الناس فكيف نأمن لهم.. وكيف نسلمهم مصائرنا..؟؟!!!

والذين يقولون بأن الحكام فى اسرائيل يتصرفون بعقلية أخرى.. قولهم مردود.. فرابين كان يحمل للعرب نفس المشاعر العدوانية التى يحملها قاتله ولكنه كان يحاول أن يصل الى أهدافه بطريقة أذكى.

واذا كان الشعب فى اسرائيل غير راض عن تصرف حكومته .. فإن النظام فى اسرائيل ديموقراطى.. وسوف يأتى غدا رؤساء منتخبون يحكمون بما يرغب فيه هذا الشعب الكاره الرافض.. ويكون الوقت قد فاتنا وحدث المحظور..

والقول المتفائل بأن اسرائيل لا تستطيع أن تهيمن على المنطقة بحجمها الصغير وتعدادها المحدود هو أيضا قول مردود..

فإسرائيل لن تسود المنطقة وحدها ولكنها سوف تهيمن بالظهير الأمريكى الذى يمدها ويساندها وبالتأييد الأوروبى والغربى بلا حدود لأغراض نعرفها .

إن اسرائيل لم تكن أبدا وحدها فى أى لحظة من أيام وعد بلفور إلى الآن .

ألا يستدعى الموقف بعض الحذر؟!!!

سؤال أطرحه على كل مسئول.


١٠
اللغة العبرية وأهلها

حلقة العلم والإيمان التى تحدثت فيها عن قدم اللغة العربية وأصالتها وانها اللغة الأم لكل اللغات أصابت المشاهدين بالدهشة وطالب الكل باعادتها وذلك لأن الشائع فى الأذهان بسبب الدعايات الصهيونية المكثفة ان اللغة العبرية أقدم والثقافة اليونانية أقدم.

وقد تعرض كاتبنا الكبير عباس العقاد لهذه الأكاذيب من قبل وقال إن جلاء الحقيقة لايحتاج إلى جهد وأن الذى يقرأ الأبجدية اليونانية فى السفرين الأولين من التوراة التى بين أيدينا اليوم فسوف يكتشف بلا عناء أن الأبجدية اليونانية هى نفس الأبجدية العربية بحروفها ومعانيها وأشكالها.. وهم ينسبون هذه الحروف إلى قدموس الفينيقى وهو فى كتاب مؤرخهم هيرودت.. أول من علمهم الصناعات.

والفينيقيون عرب نشأوا فى الخليج العربى فى بلاد النخيل وتحولوا إلى فلسطين وكانت مدينتهم القديمة باسم قرطاجة أو

قرتاشة وهى تحريف كلمة «قارة حداثة» كما سمى اليونانيون مصر جبتوس EGYPT أو قفط أو قبط والقبط هنا لاتعنى النصارى.. فالاسم سابق على مجيء المسيحية.

ونظرا لقدم التوراة بالنسبة للأناجيل اختلط الأمر على الأوربيين فتصوروا أن أسلافهم اليونانيين سبقوا الأمم إلى العلم والحكمة وتوهموا أن العبرانيين سبقوا العرب ونسوا أن توراة اليهود نفسها صريحة فى القول بحداثة اسرائيل وان اسرائيل هى سبط يعقوب ويعقوب وأبناؤه يأتون فى الترتيب بعد اسحاق وبعد إبراهيم.. فالعبرية عمرها أقل من أربعة آلاف سنة من حيث التاريخ وهى سلالة من اللغة الآرامية (العربية القديمة) التى كان يتكلم بها إبراهيم.

وقد سكن العرب الجزيرة العربية من قبل أن يسموا عربا.. وأرجح الأقوال أنهم جاءوا إلى الجزيرة العربية مهاجرين من الحبشة وبادية الشام وأعالى العراق.. والحبشة بأجماع الآراء كانت منزل الإنسان الأول وفيها وجدت أقدم الهياكل والجماجم البشرية.. منذ ثلاثمائة ألف سنة.. ومنها خرجت أفواج الانسان الأول التى تفرقت فى القارات.

وإذا كانت كهوف تسيلى التى اكتشفت فيها الرسوم الجدارية العجيبة التى رسمتها ريشة هذا الانسان فى أوروبا وفى شمال أفريقيا وتاريخها يعود لأكثر من ثلاثين ألف سنة.. فان معنى وجود هذه الفنون المتطورة أن المجتمعات الانسانية كانت قد نشأت منذ هذا التاريخ البعيد.. ونشأت معها بالضرورة لغة التفاهم والتخاطب.

واللسان العربى كان ولاشك أقدم الألسنة.. وأقدم تشريع مكتوب وهو تشريع حمورابى من ٤٤٣٠ سنة وهو مكتوب باللغة الآرامية وهى العربية القديمة.

وغلبة اللغة الآرامية على اللغة العبرية القديمة واضحة مما جاء فى الاصحاح ٣١من سفر التكوين الذى يقول.. أنهم أخذوا حجارة وعملوا «رجمه» ودعاها لابان «يجر شهدوتا» وأما يعقوب فدعاها جلعيد.. وقال لابان.. هذه الرجمة شاهدة بينى وبينك اليوم.

ومعنى «يجر شهدوتا» بالآرامية «حجر الشهود».. وهى قريبة فى اللفظ والمعنى من اللغة العربية الحديثة.

وقد غلبت الآرامية على العبرية فى المعابد والكتب الدينية فترجمت إليها كتب التوراة والتلمود وكتبت بها بعض الأسفار أصلا فى عهد عزرا ودنيال.. فلما كان ميلاد المسيح كانت الآرامية هى اللغة التى تكلم بها السيد المسيح وأجرى بها الخطاب بينه وبين تلاميذه.. وفى الاصحاح الخامس عشر.. صرخ يسوع بصوت عظيم.. إلوى.. إلوى.. لما سبقتنى (إلهى الهى لم تركتنى)

إن الآرامية بالفعل كانت عربية تلك الأيام.

وقد تعلم اليونان الكتابة وأخذوا رسم الحروف من قدموس الفينيقى العربى.. ولاحاجة بنا إلى برهان فأسماء الحروف اليونانية وأشكالها ومعانيها شاهدة على أصلها العربى سواء كانت فينيقية أو آرامية أو يمنية من الجنوب.. فالأبجدية يسمونها عند اليونان «الفابيتا».. والمعنى واضح.. ألف وباء وتاء.. وهذه الحروف لامعنى لها عندهم.. أما عندنا.. فنعلم أن الألف تذكرنا بلفظ الجلالة الله.. والباء.. البيت.. والجيم.. الجمل.. والعين بالعين.. والفاء بالفم وهكذا فهى عندنا لها أصل.. أما فى اليونانية فهم يكتبونها هكذا نقلا وتقليدا.. وهم يكتبونها من اليمين إلى الشمال كما نكتب.. وكلمة العسكر باليونانية عسكرا.. والعريش لاريسا.. والبرج برجوس.. والكلمة كلاموس.. والقرطاس كريتاس..

والسيرسيرا.. وقد حولوا أسماء الأيام إلى الترتيب العددى أسوة باللغة العربية والفيلسوف اليونانى القديم طاليس كان تلميذا للمصريين فى العلوم الرياضية.. كما درس أفلاطون الفلسفة فى جامعة أون بعين شمس بمصر..

ولم تلبث الفلسفة اليونانية الوليدة بعد جيل أو جيلين أن اصطدمت بالكهنوت فقتل سقراط وتشرد أفلاطون وقضى أرسطو بقية حياته فى عزلة وإهمال.. وحدث نفس الشىء فى أوروبا فى القرون الوسطى حينما اصطدم العلماء والفلاسفة بالكهنوت الكنسى فأحرق برونو وسجن جاليليو.. ولم يظهر فى القرون الوسطى فيلسوف أوروبى واحد فى الوقت الذى تألق فيه الفلاسفة والعلماء والأطباء العرب فى الأندلس وبغداد وظهر فيهم ابن سينا وابن رشد والرازى وابن الهيثم وابن النفيس وجابر بن حيان وغيرهم.

وظل موقف اليونان وأوروبا من الحضارة العربية موقف التلمذة والنقل.. إلى بدايات عصر النهضة.

وكان دخول اليونان فى المسيحية مرحلة أخرى من مراحل التلمذة الروحية على تراث الشرق العربى.. وأوشكت الفتوحات العثمانية أن تفتح بلاد اليونان لولا أن مؤشر التاريخ بدأ ينعكس إلى الغرب.

كان هذا حظ اليونان وأوروبا من التلمذة على الحضارة العربية فى القديم.. أما حظ مصر الفرعونية فيبدو من هذه الكلمات العربية التى ظهرت بنطقها فى الهيروغليفية القديمة.

ورتا	بالهيروغليفية هى	وردة بالعربية
زت	»	زيت
موا	»	ماء
كمل	»	جمل
مت	»	موت
حنف	»	حنيف
صابى	»	صابىء
بايت	»	بيت
بار	»	بئر
سحرا	»	سحر
أنتك	»	أنت
دَدْ	»	قد (مساوى)
حر	»	حر (الظهيرة)
بكة	»	مكة

وقد جاءت كلمة بكة فى القرآن بمعنى مكة بالفعل.

« إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (٩٦ ـ آل عمران).

إن اللغة العربية تركت طابعها على العالم القديم كله.. فكيف نقرأ ونسمع من يقول فى اسرائيل أن اللغة العبرية هى اللغة الأم التى انحدرت منها كل اللغات.

كيف ؟!! وهى لغة حديثة عمرها أقل من أربعة آلاف سنة.. ولغة لقيطة ناقصة عدد حروفها ١٩ حرفا وبعد تطويرها زادت إلى ٢٢ فقط وعدد جذورها اللغوية ألفان وخمسمائة جذر لغوى فقط بينما اللغة العربية الأم ٢٨ حرفا وجذورها ستة عشر ألف جذر

لغوى وهى أغنى اللغات بالاشتقاق وبعدد الكلمات والمترادفات.. فكيف يأخذ الغنى من الفقير المفلس.. وكيف يأخذ الأب العريق من أحفاده المهازيل وقد سبقهم قبل أن يوجدوا.. بل هو بعض السخف الذى نسمعه.. مثل قول بيجن للرئيس السادات.. نحن الذين بنينا الأهرام.. والسخف الآخر الذى سمعناه فى فيلم المهاجر من الاسرائيلى الذى يقول للمصرى.. نحن الذين علمناكم فلاحة الأرض.. كيف والمصرى هو ابن النيل وابن الوادى الخصيب.. وهو أول من أفلح الأرض فى العالم القديم..

ولكنها عقدة العنصرية وأوهام السيادة وعنجهية التفرد والتفوق فى كل شيء عند اليهود وقد صاحبتهم هذه العقدة بسبب العصبية والعزلة والحرص على عدم الاختلاط وعلى نقاء السلالة وعلى عدم التزاوج بالآخرين الا لمصلحة ضرورية.. ولهذا تصوروا أن الله هو رب خاص بهم فهو إله بنى اسرائيل ساهر على بنى اسرائيل وحدهم.

وهم لضعفهم وقلة عددهم كانوا يلوذون فى كل زمان بالقبيلة الأقوى ويحتمون بمصاهرتها من أعدائهم.. فهم فى سفر التكوين انتسبوا إلى الآراميين ولما نزلوا أرض كنعان جعلوا لغتهم لغة كنعانية.. وقال أشعيا وهو يتنبأ بغلبة قومه على أرض مصر.. إنه فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم الكنعانية واليوم هم يلوذون بأمريكا.. الدولة الاقوى بين دول العالم.. ويسخرون ذكاءهم لخدمة أهدافها.

ولهذا قال القرآن أنهم هالكون لا محالة «الا بحبل من الله وحبل من الناس ».

وهى إشارة عميقة إلى حرصهم الدائم على اللواذ بالأقوى.. وان نجاتهم هى دائما فى ذلك الحبل من الناس الذى يمده الله لهم من وقت لآخر .

ولكن عنصريتهم وعصبيتهم ظلت تلازمهم .

«للأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا » سفر التثنية

بل هم يحصرون العصبية فى أضيق حدودها.

« لا يتحول نصيب اسرائيل من سبط إلى سبط آخر بل يلازم كل وحد نصيبه كما أمر الرب موسى ».

ولا يمكن أن يخرج من هذه العنصرية ومن تلك العصبية القبلية أى عالمية أو أى رسالة إنسانية تدعو إلى خير عام للكل .

يقول أنبياؤهم عنهم.. أنهم شعب ثقيل الإثم.

وفى سفر التثنية.. أنهم شعب صلب الرقبة (من الصلف والعناد والكبر).

ولا تتسع هذه الحلقات من العصبية والعنصرية بل تضيق.. فهم فى البداية.. الصفوة المختارة من أبناء إبراهيم.. ثم تنحصر الصفوة فى أبناء اسحاق.. ثم تنحصر فى أبناء داود.

ومن أجل ذلك قالوا لا يكون المسيح المنتظر إلا من ذرية داود.

وظلوا إلى عهد الرسولين بطرس وبولس يتكرون على العبرى أن يتناول الطعام مع غير العبرى .

وهم ينكرون كل الانكار أن يتجه أى نبى بالهداية إلى الأمم من غير بنى اسرائيل.. فالهداية لا يجب أن تكون إلا لهم وحدهم .

لامقاسمة فى الخير مع أحد.. ولا مشاركة فى السيادة مع أحد .

ولما قامت لهم دولة أيام داود وسليمان لم تنهض معها ثقافة ولا حضارة وذهبت الدولة ولم تخلف أثرا من آثار الفكر والوجدان.

وقد ظلوا فى دور الشتات عالة على ثقافات الأمم .

وكان سر قوتهم فى تضامنهم وتساندهم.. فهم يتكتلون وراء

من ينبغ فيهم فيظهرونه بأكبر من حجمه لأنهم يملكون كل وسائل الشهرة والرواج والإعلان والدعاية.. فهم يملكون الصحافة ودور النشر وقاعات العرض وشركات التليفزيون والسينما والأقمار الصناعية والانترنت وبيوت المال والبنوك.. ولجان جائزة نوبل وغيرها .

وهكذا صنعوا من بيكاسو أسطورة.. ومن فرويد معجزة.. وهما أقل بكثير من ذلك .

وكان دورهم فى الثقافة العالمية دور المستغل والوسيط والممول والسمسار وليس دور العامل المنتج الذى يعطى ويخلق .

وقد احتكروا كل شىء حتى النعمة الإلهية التى جاءتهم من موسى فلم يحاولوا أن ينشروها بل احتفظوا بها لأنفسهم.. وكان ما أضافوه من عندهم هى علوم السحر والكابالا والشعوذة وعلوم الطالع والتنجيم.. وفى أخبار النبى صمويل أنهم كانوا يقصدونه ليدلهم على مكان الماشية الضائعة وينقدونه أجره على ردها.. فلم يحفلوا من نبوة صمويل إلا بفتح البخت وقراءة الطالع .

وتعترف التوراة أن موسى تعلم من النبى العربى شعيب (نبى مدين)

ويحكى التاريخ أن اليهود كانوا يحتكمون أيام موسى إلى حكيم عربى اسمه بلعام ولعله الحكيم لقمان .. ومن قبل أيام موسى كانوا يحتكمون إلى النبى العربى أيوب .

ويقول هنرى برستد وآرثر ويجال أن داود أخذ مزاميره من نشيد أخناتون الذى سبقه بثلاثمائة سنة.. وأن القبائل العبرية تتلمذت على هداة العرب نساكا ورسلا ومبعوثين وأن العرب فهموا رسالات السماء فهما أوسع وأرحب من فهم تلك القبائل الإسرائيلية لرسالات أنبيائها .

أما تركيز القداسة فى أورشليم فهى شىء جديد طارىء لم يحدث إلا بعد أيام موسى بزمن طويل.. وهى الآن دعوة سياسية أكثر منها دعوة دينية ومحاولة لخلق محور دينى لإسرائيل الكبرى.

يقول فولتير عن اللغة العبرية .. إنها لغة بربرية مزيج من الفينيقية القديمة والكلدانية والكنعانية والآرامية.. وانها لغة ساذجة قليلة الحروف ناقصة التصريف ويبلغ من فقرها أنها ينقصها الكثير من الأزمنة فى أفعالها .

وقد اقتبست العبرية الجديدة حرف الغين من اللغة العربية وأضافته إلى حروفها.. ولم يكن عندهم تمييز بين الخاء والكاف فاضافوا حرفا اسموه الخاف على وزن الكاف وكتبوه كما تكتب الكاف بعد حذف النقطة.. وليس فى العبرية..

ث ولا ذال ولا ضاد ولا ظاء

ولما هدم الرومان هيكل بيت المقدس اتخذ اليهود اللغة اليونانية لغة لهم فى مصر وأوروبا .

وتتلمذ اليهود على العرب فى علم الكلام وفلسفة اللاهوت.. وكان ابن ميمون بمثابة أرسطو عندهم.. ولما قال ابن ميمون أن وصايا الناصرى ورجل اسماعيل (يعنى محمدا) علية الصلاة والسلام.. تهدى الإنسان إلى الكمال.. ثار عليه المتعصبون منهم ونبذوه .

ووضع «ابن جبيرول » منظومة فى النحو العبرى على مثال النحو العربى.

وقد انفردت اللغة العربية بخواص شعرية لا نظير لها فى أى لغة.. والشعر العربى وحده هو الذى اكتملت فيه البحور والأوزان والقوافى فى مازورات موسيقية وايقاعات من النغم تأخذ بشغاف القلوب .

ولكن العرب سقطوا لاجتماع الاستعمار الغاشم عليهم ولانقسامهم وتفرقهم وتخلفهم.. وسمعنا عبارات السخرية تقال .

لايفلح عربى إلا ومعه نبى .

لايحسن العرب من أمور المعاش إلا رعى الإبل والماشية.. قالها جيرانفسكى فى خطبة أخيرة فى موسكو.. وقال : علينا أن نعيدهم إلى الخيام من جديد .

وان لم يفق العرب إلى الأخطار والمهالك التى تحدق بهم وإذا لم يرتفعوا إلى مستوى المأساة المقبلة عليهم فإنهم سوف يعودون إلى ما هو أسوأ من الخيام.. فقد كانت خيام الماضى.. هى خيام الحرية والكرامة والاستقلال..

أما الغد.. فإن مفرمة البوسنة.. ومحارق جروزنى فى الشيشان.. والمقابر الجماعية التى قبر فيها خمسة عشر ألف قتيل فى سربرنيتشا.. هى الأمثلة الأقرب إلى روح العصر الغادر الرهيب الذى نعيشه .

واتمنى أن تعيد القناة الأولى للتليفزيون إذاعة حلقة العلم والإيمان عن (اللغة التى تكلم بها آدم) فالخطابات والتليفونات لاتنقطع طلبا لإعادتها ونحن أحوج ما نكون إلى نشر هذا الوعى .

إسرائيل تستعجل التطبيع

وزارتا الخارجية والتعليم الإسرائيليتان أعدتا خطة مشتركة لزيادة التطبيع الثقافى والتعليمى مع الدول العربية وعلى رأسها مصر والأردن وقطر والمغرب .

وتقارير الموساد تقول بأن الاحساس الشعبى فى مصر ضد التطبيع وأن الجامعات المصرية لا تشجع أى تطبيع ثقافى أو علمى مع اسرائيل وأن أغلب الكليات لا تفكر فى دعوة علماء إسرائيليين

إلى مؤتمراتها وان كلية العلوم بجامعة القاهرة رفضت هذا من قبل ومهرجان السينما المصرية أغلق بابه أمام السينما الاسرائيلية .

والكلام على أن مجلس الشعب الحالى سوف تطرح عليه مشروعات قوانين تساعد على زيادة التطبيع فى هذه المجالات وان هناك أملا فى تمريرها .. وان اسرائيل تأمل فيما هو أكثر.. فهى تسعى لتنظيم مؤتمر للاديان الثلاثة يحضره مسلمون ومسيحيون ويهود من دول مختلفة للعمل على حل عقدة الكراهية بين العرب وبينها .

وإسرائيل تقول إن هناك سلاما بين الحكومات ولا يوجد أى أثر لسلام بين الشعوب بل على العكس هناك رفض.. وهناك زعماء دينيون مازالوا يدعون إلى الجهاد وإلى كفاح الوجود الإسرائيلى .

والسؤال هو ماذا تريد اسرئيل بالضبط ؟؟!!

إن الحب بين الشعوب لايمكن أن يأتى بفرمان والكراهية لايمكن أن تمحى بقرار وزارى .

وما تريده اسرائيل بالاديان لخصه بيريز من قبل حينما قال انه يتمنى أن توحد الاديان الثلاثة قبلتها فتتجه كلها إلى بيت المقدس.. ولم يقل لنا لماذا لايتجه اليهود إلى الكعبة التى بناها إبراهيم.. لماذا يكون التنازل من جانب المسلمين وحدهم.. فيتنازلون عن كعبتهم لارضاء السيد بيريز .

ان عقدة العنصرية اليهودية والسيادة والرياسة مازالت تتحكم فى كل تصرف تسلكه اسرائيل.. إننا أمام نازية جديدة.. وجنس مختار من نوع آخر يريد أن يسود ويفرض شروطه ..



وإذا كانت اسرائيل تمد يد الصداقة إلى جميع دول المنطقة ولاتريد من التطبيع إلا إنعاش وازدهار كل دول الجوار.. فكيف نفسر حكاية الجاسوس الذى أرسلته الموساد عبر سيناء ليتجسس ويجمع الأخبار ويوزع الهيروين.. وتفاصيل قضيته واعترافاته تنشر كل يوم بصحفنا القومية ..

هل نشر المخدرات فى مصر هو الإنعاش الاقتصادى الذى تخطط له اسرائيل .. وهل هذه هى يد الصداقة الممدودة .

أريد أن أفهم .

قوبلت الاتفاقات المبدئية للسلام بين العرب واسرائيل بفرحة مسترخية وتفاؤل عريض واحتفالات ومصافحات ولقاءات عبر الهواء والفضاء والأقمار والصحف وحفاوة مبالغ فيها من الأطراف العربية والأمريكية وكأن المشكلة انتهت وجنة اللبن والعسل فتحت أبوابها.. والهموم انزاحت من الصدور.. ولاخوف بعد اليوم.. وهى سذاجة وتسطيح اعلامى يزيف الحقيقة. فالسلام القائم حتى الآن لايعطى العرب الا قسطا قليلا من الأرض والمياه والحقوق والأمن ويبقى فى يد إسرائيل أكثر تلك الحقوق.. وهو فى مقابل هذا القليل يفتح أبواب اقتصادنا وثرواتنا لعدو تاريخى يستأسد علينا بترسانات ذرية وكيميائية وميكروبية وأسلحة ضاربة متفوقة يضعها على حدودنا بتأييد وسماح من أكبر وأقوى دولة فى العالم «أمريكا» وهى التى لاتسمح لنا ولالغيرنا بشيء من تلك الأسلحة ولاحتى من باب الظن والوهم

ونراها تضرب الحصار على ليبيا وعلى العراق وعلى كوريا الشمالية وتطارد باكستان فى أقصى الأرض على وهم أن عندها شيئا من تلك الأسلحة.. وتفتش فى البحر والبر والرمال بحثا عن ابرة أو فتلة أو أثر يوهم بوجودها.

هذا التحيز المخيف لاسرائيل ولمصالح إسرائيل من طرف رئيسى فى المفاوضات ومن ضامن وحيد لهذه الاتفاقات هو أمريكا وحلفاؤها يجب أن يشعرنا أن تلك الوثائق التى نوقعها فرحين مستبشرين متهللين هى مسكنات ومهدئات وملطفات مرحلية يجب أن نأخذها بالحذر اللازم ونتعامل معها بالحكمة الواجبة..

واتوجه لوزير دفاعنا المشير طنطاوى أن يأخذ هذا السلام بوزنه الحقيقى وينظر اليه فى حجمه الحقيقى ولاينخدع بالمحفل الاعلامى والفبركة الاخبارية والزيطة العالمية ويتابع مايجرى على الخريطة على الأرض حيث تساوم إسرائيل على المتر الذى تتخلى عنه وكأنها تقطعه من لحمها فهى تنظر إلى الأرض الفلسطينية التى تردها على أنها أكثر من أرضها.. على أنها لحمها وهى تملأ الأراضى التى تتنازل عنها بخوازيق المستوطنات.. ومايجرى على أرض الواقع لايريح.. ولكنه يدعو إلى الحذر والاحتشاد للمستقبل.. فالسلام القادم ليس وليمة لبن وعسل بل معركة باردة للهيمنة والتسلل والاستيلاء على المقدرات الاقتصادية للمنطقة.. ثم وضع المنطقة كلها تحت سيف الارهاب الذرى والتخويف الأبدى من الترسانة النووية والتفوق العسكرى الاسرائيلى.

إن رابين وقف فى الكنيست ليتنصل من القول بأن الاتفاق الاسرائيلى الفلسطينى مقدمة أو بداية لدولة فلسطينية.. وقال فى آخر تصريح له قبل مقتله إن مفاجأة حرب أكتوبر لن تتكرر وأن إسرائيل لن تدخل حربا خاسرة بعد اليوم.

إنه رغم هذا التفوق العسكرى ورغم أسلحة الدمار الشامل التى يملكها ورغم المساندة العسكرية والسياسية الأمريكية من أكبر قوة حليفة.. كان على حذر وكان يقول إن إسرائيل يجب أن تظل على حذر من جيرانها وأنها يجب ان تفتح عيونها على آخرها حتى لايأخذها أحد على غرة.. فماذا نقول نحن وماذا يقول جيرانها الضعفاء المعزولون بلا معين.. ماذا يقولون وهم الأولى بهذا الحذر.. والأولى بأن يتحدوا والأولى بأن يسندوا بعضهم بعضا وأن يستعدوا وأن يأخذوا هذا السلام بوزنه الحقيقى بعيدا عن الضجيج الاعلامى وبعيدا عن البشارات العريضة التى تتناقض مع النذر الواردة فى جميع الكتب السماوية الثلاث.. بأن إسرائيل ستعلو ثم ستدمر نفسها..

أليس هناك ألف سبب وسبب لنفتح عيوننا على آخرها ونزن كل خطوة تخطوها إسرائيل بميزان العقل ولانكون ذلك الحمل الوديع الذى يفتح باب الحظيرة للذئب ويدعوه لأكلة برسيم شهية.. يصلح بها خصومات الماضى القديم.

ولقد دعوناهم فى شرم الشيخ على مائدة عالمية فانقلبت القرارات العالمية نارا ودمارا على لبنان ودعما لاسرائيل وتشجيعا لها على حصار الفلسطينيين والتنكيل بهم وتجويعهم وترويعهم.. وقد جعلوا من كل فلسطينى يكافح الاحتلال ارهابيا يحل قتله.. وتلك أخلاقهم.. وهذا دأبهم.. فكيف نأمن لمعاهداتهم.. وكيف ننام على مواثيقهم.

وكيف ننسى.. وتحت الرمال أسرانا الذين أعدموا فى مجازر سيناء.. لم تبل عظامهم بعد..

إننا مازلنا نتعامل مع أعداء تاريخيين يريدون استئصالنا.. وكل مايقال عن السلام أكاذيب.

الصين

الصين هى الكعبة الجديدة والقبلة التى تحج إليها وفود الدول الغربية وسفراؤها ووزراء خارجيتها ورؤساؤها.

إنها الآن أكبر سوق استهلاكى لبيع السلع وأكبر مجال مفتوح للاستثمارات وأكبر بورصة للفرص وللمشروعات الضخمة والمغامرات المالية العملاقة.

والصيحة الجديدة بين دول الغرب الآن هى.. اقفز إلى القطار الذاهب إلى الصين.. ولايهم أن تكسب اليوم أو غدا فمستقبلك مضمون وأموالك سوف تعود إليك مضاعفة.. فقط.. لاتضيع الفرصة.

والصين قارة كبيرة غنية بكل شىء.. البترول ، المعادن ، الخامات، الأرض الخصبة، الأنهار، الأيدى العاملة الرخيصة (أكثر من ألف مليون) حوالى ربع التعداد السكانى للعالم كله.

وسياسة دنج شياو بنج الانفتاحية الذكية التى خلعت الثوب الشيوعى فى هدوء وخطمت الجاكتة الجبس التى كانت تسجن الاقتصاد فى شعارات «ماو» الفارغة.. فعلت كل هذا دون أن تقع فى الخطأ الروسى القاتل الذى هدم المعبد على من فيه.. فلم تغير الشعار الاشتراكى بل قالت فى مكر دبلوماسى إن هذه هى اشتراكيتنا المثلى كما نراها بمنظارنا نحن.. وهكذا فتحت الباب لأكبر قفزة رأسمالية فى التاريخ ولأكبر تطوير حضارى.. تحت نفس الشعارات القديمة.. وبنفس الأشخاص.. وبنفس الزعامات..

وهو نفس مافعله السادات ولكن على نطاق أكبر وأشمل وأوسع.. على نطاق قارة بأكملها.. وكانت النتيجة.. أعلى نسبة من التنمية فى العالم.. (بلغت النسبة فى إقليم جواندونج عشرين فى المائة).. وهو رقم أسطورى.. للعلم نسبة تسارع التنمية فى أمريكا

وأوروبا متوسطها أربعة فى المائة.. وجواندونج مجرد إقليم فى جنوب الصين إلى جوار هونج كونج عدد سكانه ٦٥مليونا.. وهناك عشرات الأقاليم غيره معدل تسارع التنمية بينها حوالى ١٤٪.. ومعنى هذه النسب العالية.. أن الصين بعد سنوات قليلة أقل من أصابع اليد الواحدة سوف تصبح أكبر قوة اقتصادية فى العالم.. وسوف تتراجع أمريكا وأوروبا إلى الوراء لتصبح منطقة وسطى متواضعة بين العملاق الصينى وبين الدول النامية.

ولهذا لايستغرب ذلك الغزل بين الساسة الأمريكان وبين الصين منذ أيام نيكسون.. وذلك التقرب والتودد رغم ملف حقوق الانسان السيىء الذى لم يكن يعجب بوش.. ولاغرابة فى أن نرى كلنتون يتغاضى عن هذا الموضوع ويلحس الملف القديم فى مقابل علاقات اقتصادية أوثق وأسواق جديدة أكبر وشركات أمريكية تدعى إلى الوليمة الصينية.

لقد أصبحت الصين هى الأمل الوحيد لعلاج البطالة وإصلاح ميزان العجز التجارى فى أمريكا وأوروبا.. ورأينا إسرائيل ترابط على أبواب بكين.. بل وتسرب إليها من باب الرشوة أسرارا تكنولوجية أمريكية.. تثور بسببها أمريكا وتهدد وتتوعد.. لكن إسرائيل تعلم أن تعاظم القوة الاقتصادية الصينية معناها تعاظم القوة السياسية.. وهى تخطط لتدخر لنفسها حليفا قويا فى المستقبل.

أين مصر فى هذا السباق المحموم؟!..

لقد زار الرئيس مبارك الصين ولكنه قطع زيارته وعاد مسرعا بسبب الزلزال.. وأرجو أن تتكرر الزيارة على مستويات رئاسية ووزارية.. وعلى مستويات لجان متخصصة.. إن الأمر جد خطير.. ومصلحة مصر تستدعى توسيع العلاقات مع هذا العملاق الآسيوى الذى سوف يغير خريطة القوى فى العالم.. ليس بعد قرن



من الزمان.. وإنما فى حياتنا.. وفى الأمد القريب المشهود.. والمصلحة تستدعى منا أن نقفز فى قطار الصين السريع.. فهناك فى تلك القارة الهائلة يجرى أسرع تطور حضارى عرفه العالم.

الفتح الإسلامى الثانى لأوربا

سوف يكتب التاريخ أن الاسلام لم يدخل أوروبا فى غزوته الثانية.. بسيف ولابمدفع.. وإنما بسيرة عطرة وكتاب.. أما السيرة فهى لرجل مناضل ومارد من مردة التنوير اسمه على عزت بيجوفتش.. والكتاب كتابه.. الإسلام بين الشرق والغرب..

رجل وقف مع صحابته يصد عن أوروبا حرب الكراهية وسهام الحقد المسموم وحملات التخلف التى شنتها صليبية غبية.. ثلاث سنوات يحارب وحده لتظل كلمة لا اله إلا الله وراية الحب والرحمة والعدالة والحرية.. هى راية أوروبا وليس راية الجاهلية وشعار أسود الغاب.

وبينما كان الاسلام يبعث من جديد فى أوروبا.. كان يختنق فى موطنه وفى بلاده فى أوحال الارهاب والفتن وفى حرب مخابرات أجنبية وفى شباك عنكبوتية وسلام مريب تصنعه أمريكا وإسرائيل لتدخل المنطقة كلها فى ادغال ليل طويل.

وسوف يكتب التاريخ أن هذا الليل الطويل قد اخترقه الفجر رغم كل شىء وأن كلمة لا اله إلا الله قد سادت رغم كيد الكائدين.. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لايعلمون.

هكذا كتب الله فى الأزل

« لأغلبن أنا ورسلى »

« وإنَّ جندنا لهم الغالبون »

ولايملك التاريخ الا ان يسمع ويطيع فليس للكون مالك آخر غير رب العالمين..

الـذى يتأمل ما حـدث للشـارع فى موسكـو ومـا حدث للنـاس والسلوكيـات العامة ولطمـوحات المواطن الـروسى العادى يكتشف أن الهزيمة فى روسيا وصلت إلى النخـاع وأن المواطن الروسى خلع الثـوب السوفيتى وخلع الأيـديـولوجيـة السـوفيتية ولبس الثـوب الأمـريكى والتفكير الأمـريكى والطمـوحـات الأمـريكيـة.. الجينـز والهامبورجـر والمكدونـالد والـديسكو والعـربات الفـارهة والعنف والمافيا والقتـل من أجل الدولار.. والنسـاء الروسيات خلعـن لباس العمال الخشن ولبسن لباس الإثارة والسكـس والرقص فى الحـانات لما بعد الفجر ومضـغ اللبان والمجاهرة بالشذوذ.

غـزو ثقـافى كـامل.. وركـوع للقيم الأمـريكيـة.. وعبـادة للنمط الامريكى.. وتسبيح للإله الأمريكى.. صاحب الجلالة الدولار.

ومثل هذا الغزو حدث بدرجات متفاوتة فى كل مكان من العالم.

وكـانت السينما الأمـريكيـة والأفلام الأمـريكيـة والمسلسـلات

الأمريكية هى رأس الحربة فى هذا الاختراق الذى وصل الى قلب باريس على ظهر «الديزنى لاند» الفرنسية لدرجة أدت الى قلق الحكام الفرنسيين وأدت بالرئيس الفرنسى الى التصريح بضرورة فرض قيود على دخول الفيلم الأمريكى خوفا على القومية الفرنسية والهوية الفرنسية.. بل وعلى اللغة الفرنسية التى تدهورت على لسان رجل الشارع وخالطتها الألفاظ الانجليزية والنطق الأمريكى والخنافة الأمريكية..

هناك إذن حالة من العامية الأمريكية والسوقية الأمريكية تنتشر ببطء فى أوروبا.. وتتسلل عبر الحواجز لتصل الى آسيا وتغزو الهند والفلبين وتايوان واندونيسيا والدول النامية وتصطدم بسور الصين العظيم، فلا تستطيع اختراق القومية الصينية.. وفى الصين يحدث العكس، يمد العملاق الصينى يده ليسرق أغلى ما فى أمريكا.. التكنولوجيا والكمبيوتر.. ويأخذ من حرية التجارة ومن اقتصاد السوق بقدر مصلحته.. ثم يرفض الباقى ويغلق على نفسه الأبواب.. وتفعل اليابان نفس الشىء، ويتطور الاثنان الى عملاقين.. كل واحد محصن داخل قوميته ويقف منتصبا فى مواجهة أمريكا ليقول.. أنا هنا..

والصين هى العملاق القادم الذى سوف ينافس أمريكا على القطبية.. وأمريكا تحسب لها من الآن ألف حساب.

أما أفريقيا فلا وجود لها على خريطة المنافسة.. واستراليا مجرد كوكب تابع لشمس الغرب..

أما شرقنا الأوسط السعيد فكله ملفوف بالراية الأمريكية المتعددة النجوم.. تقوده بالقروض والمعونات وبعصا اسرائيل.. وهو مخترق من القمة الى القاع..

وقلاع العروبة والقومية والوحدة سقطت كالأشباح بهزيمة

عبدالناصر.. والرمز الوحيد الباقى الذى يقاوم هذا الغزو الأمريكى/ الاسرائيلى المكتسح هو الاسلام..

والاسلام بطبيعته غير قابل «للأمركة» وغير قابل للتهويد.. وهو خصم غير هين..

وكانت الحيلة الأولى للتغلب على الاسلام هى تشويهه بإلصاق تهمة الارهاب والإجرام بكل ما هو اسلامى بدءا بمفجرى المركز التجارى الأمريكى.. وانتهاء بإمداد هذا المسلسل الدموى بالجديد من الانفجارات كل يوم..

وانكشفت الحيلة حينما اتضح أن الشيخ عمر عبدالرحمن كان يتقاضى مرتبا شهريا من المخابرات الأمريكية.. وأن كل الارهابيين كانوا يتلقون التمويل من أرصدة بالخارج.. وأن الارهاب كله مصنوع.. وأن عصاباته مستأجرة ومجندة.. وأنه صناعة أجنبية صهيونية مائة فى المائة..

وكانت الحيلة الثانية هى الالتفاف حول الإسلام ومحاولة إضعافه بإضعاف اللغة العربية التى هى وعاء الدين ووعاء القرآن، بحجة تطوير مناهج التعليم وإصلاح التعليم والنهوض بالتعليم..

وقد نجحوا كثيرا وحققوا الكثير فى هذا الباب.. وضعف اللغة العربية الذى أصبح واضحا بين شباب المذيعين.. وطغيان العامية فى الشعر.. وسوقية الأغانى.. وضياع النطق العربى السليم.. كلها شواهد على ذلك..

ولكن المعركة لم تحسم بعد..

وسوف تشهد السنوات القادمة هجوما مركزا على الدين ذاته وعلى التربية الدينية وعلى الإعلام الدينى وعلى القيادات الدينية وعلى اللغة العربية.

وسوف تلجأ الصهيونية الى وسائلها القديمة.. اشاعة الانحلال ونشر المخدرات والجريمة والعنف والفيلم الهابط والفن الداعر والاعلام المخرب.. وتهديد كل من يكتب فى حرية بتهمة المعاداة للسامية والتشجيع على الارهاب..

وسوف نرى مزيدا من الكتب التى تعلى من شأن القيم الدنيوية وتكرس المادية وتروج للعلمانية وتشكك فى الدين وتهزأ بالغيب.. وسنرى نماذج من الحفاوة بأمثال سلمان رشدى ونسرين تسليمة ونصر أبوزيد..

والغزو الثقافى سوف يتضاعف بريادة سينما أمريكية مهيمنة تبث قيمها الهابطة فى كل مكان..

والتطبيع سوف يحقن إسرائيل تحت الجلد ويحقن المكر الاسرائيلى فى الماء والهواء والغذاء الذى نأكله، وفى الاقتصاد الذى نزاوله، وفى التخطيط الذى نباشره، وفى العقلية التى نسوس بها أمورنا..

وبيوت الخبرة الأمريكية التى دمرت الاسكندرية بفتوى صرف مجاريها فى البحر.. مثال حى سوف يتكرر فى كل مشروع وفى كل تخطيط مستقبلى، إذا فتحنا الباب للأيدى الاسرائيلية لتعمل معنا وتفكر لنا.. بحكم التطبيع بلا تحفظ.. والثقة بلا حدود..

إن اسرائيل التى أخرجت لغتها العبرية البائدة من القبر، وتدثرت بها لتصنع لها هوية وقومية وإرثا تاريخيا من العدم، لن تكتفى بأقل من السيادة والهيمنة.. لأنها وجود مختلق مصطنع لايمكن أن يستمر فى الحياة إلا اذا امتص الحياة من كل ما حوله..

والخمسة ملايين يهودى إما أن تذوب فى الستين مليون مصرى وهذا مستحيل (لأنها ضد الذوبان والانعدام) واما ان تحاول أن تفكك هذه الملايين الستين الى شظايا بالمكر والفتن.. وهو ما سوف

يحدث.. ولايوجد احتمال ثالث.. والذين يتصورون أن التطبيع فتحة خير.. ينظرون بدون أعين ويفكرون بدون رؤوس.. والبعض من أصحاب رؤوس الأموال وأصحاب الأحلام فى ثراء سريع ومشاريع مشتركة، هؤلاء الذين فرحوا بالتطبيع لا يرون الا المصالح العاجلة تحت أقدامهم ولا يرون خطر الاحتواء الأمريكى الإسرائيلى على المدى البعيد، ولا يشهدون الخراب الذى يخطط لبلدهم..

والسد الوحيد الذى يقف أمام هذا الطوفان الذى يدق على الأبواب هو الروح الدينية فى المنطقة العربية وفى مصر بالذات.. والدين فى مصر هو الذى شيد الأهرام وشيد معجزة الكرنك.. وهو الذى انتصر على التتار وقهر الصليبيين، وهو الذى عبر القنال فى حرب أكتوبر.. وهو وراء موقف التحدى الذى وقفته الملايين من المحجبات رغم المغريات المضادة ورغم التليفزيون والسينما ورغم الموجة العلمانية التى مازالت تحاول أن تكتب على الماء وتنقش على الرمال.. والكل يشاهد ما يجرى فى صلوات العيد وكيف تمتلىء الميادين فى مصر بملايين الراكعين الساجدين المسبحين..

الدين فى مصر حقيقة راسخة.. اسلاما ونصرانية.. وكلاهما ضد اسرائيل.. ويخطىء الحاكم الذى ينسى هذه الحقيقة ويصدق كلام العلمانيين الذى ينصح بالمزيد من التطبيع والمزيد من التطويع والتركيع..

والذين يهرولون الى الحضن الاسرائيلى يهرولون الى حتوفهم..

ولا توجد مصالحة بين الوجود الاسرائيلى الذى جاء بالغزو والاغتصاب، وبين الاسلام.. فكل منهما يرفض الآخر وبشدة..

والإسلام ضد القيم الدنيوية الانحلالية وضد عبادة المال

وضد حياة الغواية والشهوات التى تروج لها الأفلام الأمريكية والغزو الثقافى الغربى والمبادىء التلمودية..

ومع ذلك فالإسلام أبعد الأديان عن التزمت والتشدد، فباب التوبة والاستغفار مفتوح للخطائين طوال العمر الى لحظة الحشرجة.. والقرآن يقول لهم إن الحسنات يذهبن السيئات.. وأن التيسير فى كل شيء هو الأصل والحلال فى كل شيء هو الاصل.. وأن الحرج والتشدد مرفوعان عن المسلم.

والتوبة فى الإسلام تمحو كل شيء حتى الكبائر.. حتى الشرك تجبه التوبة والإنابة..

والضرورات فى الاسلام لها اعتبار، والظروف لها اعتبار.. فأكل الميتة مباح للجائع اذا لم يجد أى وسيلة أخرى لسد جوعه..

وهكذا فتح الإسلام الباب للعقول لتفكر وتجتهد دون تحجر ودون تشدد.. ولم ينصب المشانق والمحارق لأحد كما فعل البابوات لعلماء العصور الوسطى..

ولم يضيق الاسلام على المرأة بل وسع عليها والمرأة أيام الرسول كانت أكثر حرية منها الآن.. وكانت تخرج للحرب، وكانت تعمل بالتمريض، وكانت تجلس للفقه وكانت تشتغل بالقضاء وكانت شاعرة وأديبة..

والإسلام شمل بعدله وبره المسلم والمسيحى واليهودى والمجوسى، وامتدت مظلة رعايته لتحتضن الجميع.. وهو لم يحارب من هؤلاء الا من حاربه.

والإسلام دين المستقبل ودين الديمقراطية والحرية والتعددية..

وأى مشروع حضارى لا يستلهم الإسلام وعطاءه لن ينجح فى بلادنا ولن تمتد له جذور فى شعبنا المصرى..

وقد فشل مشروع البعث العراقى/السورى، وفشل المشروع

الاشتراكى الناصرى، وفشلت الوحدة العربية التى استلهمت القومية العربية لأنها لم تستلهم عطاء الإسلام..

وسوف تتحطم إسرائيل الكبرى على صخرة الإسلام.

ولن ينجح الغزو الثقافى فى إدخال إسرائيل الى القلوب.. فماذا تصنع الكلمات والأغانى والأفلام.. فى السر الذى وقر فى الأرواح وملأ الأفئدة وأضاء ظلمات النفوس، إنها لا أكثر من رسوم على الماء ونقش على الرمال..

وهى لا أكثر من ضباب يتبدد عند شروق شمس الوعى وعند أول ترنيمة المنادى.. الله أكبر..

أمور مخجلة

الدكتور مصطفى الرفاعى أستاذ جراحة المسالك البولية بطب الاسكندرية وهو أيضا أديب ذواقة وكاتب صاحب رؤية اجتماعية ومغرم بالشاعر الكبير أحمد شوقى.. يشترى كل ما يطبع من دواوينه.. يلفت نظرنا الى اكتشاف..

يقول الدكتور إنه لاحظ مصادفة ان الديوان الذى أصدرته المكتبة التجارية سنة ١٩٧٠ لشوقى جاء أقل خمسين صفحة من الطبعة الأصلية التى أصدرتها مطبعة الاستقامة فى القاهرة سنة ١٩٥٠.

وبتقليب الصفحات فى فصول اكتشفت أن هناك سبع قصائد قد حذفت بكاملها وأن هناك ١٥ قصيدة أخرى شطب منها الناشر ٢٤٤ بيتا وبقراءة الأبيات المحذوفة والقصائد المحذوفة اكتشفت أن الناشر حذف جميع الأبيات والقصائد التى فيها ذكر للأسرة المالكة أو ذكر للدستور أو ذكر لحرية الصحافة.. ومعنى ذلك أن الحذف كان بيد الرقابة .. وأن التعليمات أيامها (وهى أيام عبدالناصر) كانت ألا يأتى ذكر للأسرة المالكة ولا للدستور

ولا لحرية الصحافة.. والأدهى من ذلك.. يقول صاحبنا أنه يوجد الآن فى الأسواق طبعتان حديثتان للشوقيات واحدة أصدرتها مكتبة مصر والثانية أصدرتها مكتبة التربية ببيروت، وكلتاهما صورة طبق الأصل من الطبعة المشوهة التى حذف منها أكثر من ستمائة بيت.. ومعنى ذلك أن تراث هذا الشاعر العظيم فقد وتعرض للحذف والتشويه..

وهناك قصائد كاملة اختفت مثل.. قصيدة محمد على الكبير.. والخديوى اسماعيل.. والجامعة.. والسلطان حسين كامل.. ودمعة وابتسامة.. وعلى يد الله.. وتهنئة (بمناسبة الكوليرا).. أما القصائد التى حذف منها ٢٤٤ بيتا فهى كثيرة.. منها مشروع ٢٨ فبراير.. وإلى عرفات الله.. والأزهر.. وفى سبيل الهلال.. وعيد الفداء.. ونكبة بيروت.. وفى وداع فاروق.. والعلم والتعليم.. وياشباب الديار..

وشهيد الحق.. وتوت عنخ آمون.. والصليب الأحمر.. والمؤتمر الجغرافى..

ويعقب الدكتور على هذا التشويه قائلا:

هل هناك مهانة أو تخلف مثل ذلك؟!

وأنا أرى يا عزيزى الطبيب أنها أكثر من مهانة.. فهى جهالة وسوقية.. فالثروة الأدبية التى تركها شوقى ليست ملكا لعصر ناصرى ولا إرثا لاتحاد اشتراكى، وانما هى ملك للتاريخ، وهى عهدة فى رقبة وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم والجامعات المصرية، ووزارة الإعلام واتحاد الناشرين ، وكل مسئول عن الحرف العربى.. ولا يجوز السماح بهذا العبث، ويجب أن تسحب النسخ المشوهة من المكاتب ويعاد طبع ديوان شوقى الحقيقى كاملا، كما فى طبعة ١٩٥٠ التى طبعتها مطبعة الاستقامة..

إن أى تغن بالحرية وبالدستور هو شرف لمصر، وشرف لكل مصرى ، وشهادة لكل عصر ولكل ذوق ولكل عقل يفهم.. والشاعر حر فيما يكتب.. والأبيات المحذوفة روعة.. وهى صروح مجد لتاريخنا.. وهى فوق ذلك تراث لشاعر عظيم.. هل فعلت انجلترا مثل هذا لشكسبير، أو فرنسا لموليير، أو ألمانيا لجوته، أو ايطاليا لدانتى، أو أسبانيا لسرفنتز؟!

إنهم على العكس ينقبون عن سطر مفقود وعن مسودة مهملة لهؤلاء العظماء، ليضموها إلى متاحفهم.

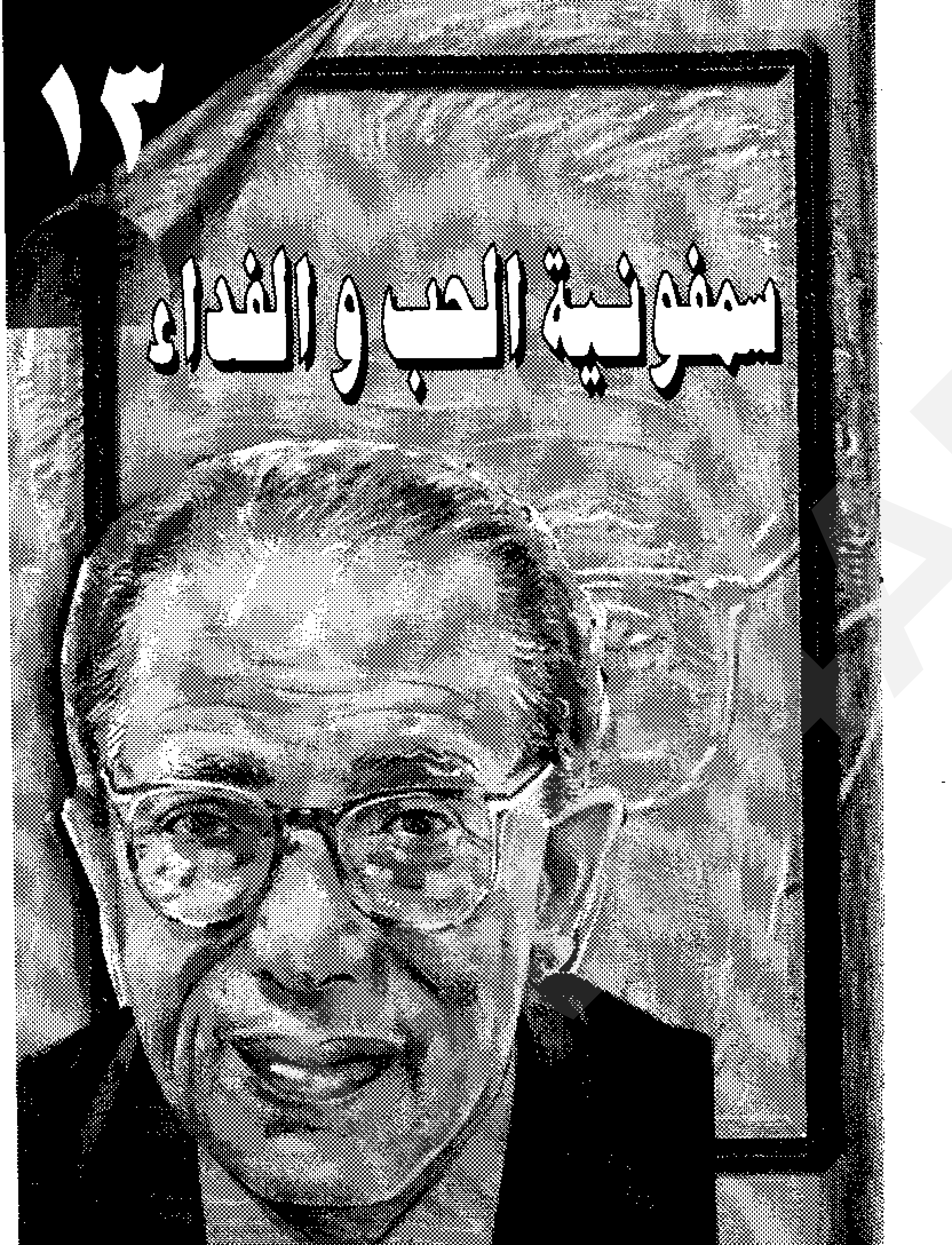
وكلمات عابرة كتبها موليير وهو مخمور لساقية فى حانة.. تباع بمليون فرنك.. انهم يقولون لك.. على هذا السرير رقد بيتهوفن.. وعلى هذا المكتب كتب سيمفونياته.. وفى هذا الطبق كان يأكل.. ومن هذا الكوب كان يشرب.. وبهذا القلم الرصاص كان يخط مسوداته..

وأسأل نفسى دائما.. ماذا بقى من اشتراكية ستالين واشتراكية تيتو، واشتراكية ناصر؟..

لقد أصبحت جميعها سياسات بائدة تحاول شعوبها أن تتخلص منها.. أما شوقى فهو أغنية خالدة.. سوف تظل مسافرة عبر الحدود لتغازل كل الآذان فى كل وطن يتكلم العربية.. وسوف تترجم بعد ذلك لتخاطب كل العقول..

وكان الزعيم العظيم سعد زغلول يقول لشوقى: سوف نمضى نحن وتنتهى مواكبنا.. وتبقى أنت تسكن كل القلوب...

وقد صدق ...



١٣
سمفونية الحب و الفداء

الله يقول لنا فى قرآنه

﴿ أينما تولوا فثم وجه الله ﴾

ومعنى الآية أن الله ظاهر فى آياته وفى صنعته وفيما يجرى علينا من أقداره.. وأكثر من ذلك أنه يتجلى بوجهه فى كل شىء من الذرة الى المجرة.. يراه العارف فى جناح الفراش وفى ريشة الطاووس وفى تغريدة الطائر وفى ابتسامة الوليد وفى تفتح البراعم وفى إشراقة الفجر وفى وشوشة البحر وفى رقراق النسيم.. وهو فى كل تجلٍ جمالى يقول.. الله .. الله.. ما أجملك.

والصوفى العارف يهتف مناجيا ربه.

ملأت كل الكون عشقا فما   أعرف قلبا خاليا من هواك

والصوفية معرفة وحب شامل يحتضن الكون وصانعه.

ودين الصوفى إعجاب وإكبار وانبهار واستغراق وعشق متجدد يحتضن بين ذراعيه الحانيتين كل شىء.

بى منك شوق لو أن الصخر يحمله.

تفطر الصخر عن مستوقد النار .

قد دب حبك فى الأعضاء من جسدى.

دبيب لفظى من روحى واضمارى.

وأخلاق الصـوف هى الرضا بكل ما يجرى عليـه من أقدار فكل مايأتى به الله جميل.

فإن شئت واصلنى وان شئت لاتصل.

فلست أرى قلبى لغيرك يصلح.

يقول شهاب الدين السهروردى:

كل صبـح وكـل إشــراق … أبكى عليـكم بـدمع مشتاق

قد لسعت حية الهوى كبدى … فـلا طبـيب لهــا ولا راق

غـير الحبيب الذى شغفت به … فإنـــه رقـيتى وتـريـاقى

وحينما قُتل كان يقول فى حشرجة الموت:

قل لأصـحابى رأونى ميتا … فبـكونى إذ رأونى حـزنا

لا تظنـــونى بأنى ميت … ليـس ذا الميـت والله أنـا

أنا عصفور وهذا قفصى … طرت عنه فتـخلى رهنــا

لا ترعكم سكرة الموت فما … هى إلا انتقال مـن هنـا

مـا أرى نفسـى إلا أنتـم … واعتقــادى أنـكم أنتم أنـا

هـكذا يبلغ التـوحيد ذروتـه.. فكيف تقتلنى وأنت أنـا.. وكيف أوذى نملـة وفيها منى.. والنفس الـرحمانى سار فى الـوجود كلـه.. والكـون كلـه حى لأنـه قـائم باسمـه الحى فكيف تمتـد يـد أحـد بالعدوان على أى شىء.

ولاتمام للدين إلا بهذه اللمسة الصوفى ، وهـذه الذروة العرفانية وهذا الحب الذى فاض فاشتمل الكون كله.

والدين عندنا ليس مجرد إقرار.. بل شهود.

يقول المسلم أشهد أن لا اله إلا الله.. ولا يقول أقر.

وفـارق كبير بين الشهـود والإقـرار.. الشهود رؤيـة ومعـاينـة وذروة يقينية.

إنه المعنى الباطن فى تلك الآية.

﴿ **أينما تولوا فثم وجه الله** ﴾.

هنا شهود لوجه الواحد فى ذلك العرض الكونى المتعدد فى شتات الصور والمشاهد.

هذا السر الـذى يتكشف للمؤمن هـو لب الإسلام وجوهـره وبه تصبح الصلاة نجوى وصحبة وحضرة وأنسـا.. ويصبح الواحد فى معية مع الواحد والخلق كلهم فى معية مع الحق.

أين هذا من تدين أهل هذا الزمـان فى عالم الكراهية الذى نعيش فيـه.. حيث لا يـرى كل واحد إلا نفسـه ومصلحتـه وحيث تشتبك المصالح وتتنازع المنافع ويقتتل الإخوة وتضيق الأرض على سعتها ولا يرى الـواحد لأبعـد من أنفه.. وحيـث الصلوات مجرد حـركات والتسابيح همهمـة من الخناجر والصـدقة رياء.. وحيث اليهـودية صهيونية ومسيحية الغـرب صليبية وحيث حقيقة الدين استعمار واغتصاب وقتل وتشريد وإبادة.

الجامعـة الأمـريكيـة

ومثال لهذا التعصب المقيت ما روته جريدة الأخبار منذ أيام عن طالب الماجستير بالجامعة الأمريكية الذى دخل الى قسم التحقيقات بجريدة الأخبار وراح يوزع استمارات استفتـاء يطلب فيها الاجابة على هـذه الأسئلــة.. مـا رأيك فى إذاعـة أذان الصـلاة فى الإذاعـة والتليفزيـون هل توافق على ذلك.. وهل توافق على إذاعـة الأحاديث النبوية عقب الأذان وهل تـوافق على استمرار برامج العلم والإيمان

وأحاديث الشيخ الشعراوى فى التليفزيون.. إلا يؤدى ذلك الى إحساس غير المسلمين بالغربة.

والسؤال عجيب فلماذا يشعر غير المسلمين بالغربة وبإمكانهم الانتقال الى سبعه محطات أخرى بمجرد لمسة زرار يختارون منها ما لذ وطاب من التسالى والأخبار والمسلسلات الأجنبية والرقص والطبل والزمر والإذاعات الأجنبية وأفلام الكاسيات العاريات.

لماذا يصورهم لنا الأستاذ الماجستير بأنهم مضطهدون محرومون لا يجدون أمامهم إلا العلم والايمان والشيخ الشعراوى مما يؤدى بهم الى الاكتئاب والغربة.

وأسئلة أخرى يسألها الأستاذ الماجستير طبعا بتوجيه من أستاذه الأمريكانى.

هل توافق على حجم الجرعة الدينية المتخصصة بالصحف اليومية والمجلات الأسبوعية.. ألا ترى أنها تسهم فى إثراء روح التطرف بين الناس (ومعلوم أنه لا توجد فى مصر جريدة واحدة تدعو الى التطرف) فالمقصود إذن هى أى جرعة دينية وأى كلام عن الاسلام.. وهذا أمر غير مرغوب فيه من طالب الماجستير ولا من أستاذه الأمريكانى.. فأى دعوة اسلامية أو أذان أو حديث نبوى فى التليفزيون أو تفسير لقرآن هو تشجيع للتطرف وحض على الارهاب.

وسؤال آخر أعجب.. ماذا تسمى المقاتلين فى الشيشان.. هل هم مناضلون أم ارهابيون.

(حتى مسلمو الشيشان فى عرف الأستاذ يجب أن يضربوا حتى الموت وتحرق ديارهم ومدنهم ولا يثورون) وإلا كانوا ارهابيين.. وثورتهم عند الأستاذ محل تساؤل..

وسؤال آخر .. لماذا عادت موضة قراءة المصاحف فى وسائل

المواصلات العامة.. ألا يعد ذلك إحراجا لمشاعر غير المسلمين.. تلك الروح الاستفزازية.. والأسئلة التى تتهم كل بادرة اسلامية حتى الأذان فى التليفزيون وتلاوة الحديث النبوى.. بأنها أشياء باعثة على التطرف باعثة على اكتئاب وغربة الأجانب الغلابة المساكين.

ماذا نقول نحن يا طالب الماجستير حينما يدير الواحد منا فى غرفته بالفندق فى أوروبا أو أمريكا زرار التلفزيون فتنزل على الشاشة أربع أو خمس محطات تذيع العملية الجنسية بأوضاعها وتفاصيلها.. وحينما نفتح جرائد الصباح فنقرأ شتيمتنا ونفتح المجلات فنقرأ عشرات المقالات التى تسب الاسلام والمسلمين ونرى المجلة تنصح السياح الذاهبين الى مصر بإلغاء حجوزاتهم لأن فى مصر كوليرا وملاريا ودوسنتاريا وسل رئوى ومياه مخلوطة بالمجارى.. ساعتها لم يكن الواحد منا يشعر فقط بالغربة وإنما بالرغبة فى العثور على جحر ضب ليختفى فيه.

شىء من الحياء يا سادة.. ويا أساتذة كبار فى جامعة عريقة مثل الجامعة الأمريكية.. نعتز بها ونعتز بإسهاماتها الثقافية.. وأتساءل أنا بدورى.

هل أصبح أمرا عجيبا مثيرا للتساؤل.. أن تكون هناك ساعة من مائة وستين ساعة أسبوعية من البرامج التليفزيونية المنوعة مخصصة للبرامج الدينية.. ساعة واحدة أو ساعتان.. وفى بلد اسلامى.. وهذ الحصة الهزيلة تصبح هدف استفتاء وتساؤل واتهام من الأساتذة الأمريكان.. ومثار تأفف.. لأن هذه البرامج تشعرهم بالغربة.. طيب ما يغيروا المحطة.. ويريحوا أنفسهم ويريحونا.. والحمد لله مائدة التليفزيون عامرة بما لذ وطاب من الاذاعات الإنجليزية والفرنسية.. وبكل ما يشرح صدر الأجنبى من صنوف الرقص والباليه والاستعراض والأغانى.. أم أنه الغيظ

الكامن والحقد الذى لايطيق صوت مؤذن يقول.. لا إله إلا الله..

ولكنى أعود فأقول بأن التحالف الأمريكى الاسرائيلى هو المسئول.. وهو الذى أحاط المنطقة بسياج من الكراهية ووصم كل ماهو اسلامى بوصمة الارهاب وأثار المسيحى على المسلم وزرع الفتن واشترى الذمم واستأجر البعض على البعض الآخر واستنزف كل الاحتياطى الدولارى العربى وكل الثروات البترولية العربية فى حرب الخليج وزرع قواعده العسكرية فى المنطقة لتبقى الى الأبد ولم يكتف بهذا وإنما هو الآن يحاول أن يقتلع جذور الاسلام من الأرض العربية كلها بغزو ثقافى وتسلل ايديولوجى بطىء فى محاولة تدريجية لتتريك المنطقة وتحويلها الى تركيا أخرى.

ولن ينجح هذا التحالف الأمريكى الاسرائيلى فى أى من تلك الأهداف ولكنه سوف ينجح فقط فى أن يصبح شيئا كريها.. وكابوسا عدوانيا.. يتكفل التاريخ بإزالته.

سوف يفشل هذا التحالف لأن هناك سورا وسياجاً عاليا اسمه.. الاسلام.. لن يقوى على تحطيمه.. لأنه سياج ربانى.. ولأنه نبت الحب والفداء والاستشهاد.

ولأنه الحق..

والحق لا يقوى عليه باطل.

والحب لا تقوى عليه كراهية.

ويعود بنا الحب الى أول المقال.. والى نفحات الهوى الصوفى وأنوار المعرفة.. والى ذروة الدين وتمامه.. والى شهاب الدين السهروردى القتيل.. والى سيمفونية الشعر والى نافورة الحنان التى تقطر بالدم واله[illegible]ر والى الشوق الآتى من وراء القبور.

أبدا تحن اليكم الأرواح ... ووصالكم ريحانها والراح
وقلوب أهل ودادكم تشتاقكم ... والى لذيذ وصالكم ترتاح

وارحمتا للعاشقين تكلفوا ... ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء البائحين تباح
وإذا همو كتموا تحدث عنهم ... عند الوشاة المدمع السحاح
هى خمرة الحب القديم ومنتهى ... طلب النديم فنعم ذاك الراح

وخمرة الحب القديم هى نشوة النفوس بمخاطبة ربها فى الأزل.. تلك المخاطبة التى ذكرها القرآن فى سورة الأعراف « الآية ١٧٢ ».

﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم.. قالوا بلى شهدنا ﴾..

(ويسميه الصوفية.. بيوم « ألست »).

ويقول شهاب الدين السهروردى عن هذا اليوم:

أقسمت بيوم « ألست» فى القدم.
مازلّ الى غير هواكم قدمى.
قطعى عن الأغيار والسوى صلتى.
وفى وجودى بينكم عدمى.

فهو يرى حياته فى الدنيا بين الأغيار عدما.. ويحلم بيوم العود الى ربه والرحيل عن هذه الديار.

أقول لجارتى والدمع جارى ... ولى عزم الرحيل عن الديار
إلى كم أجعل الحيات صحبى ... إلى كم أجعل التنين جارى
وكم أرضى الاقامة فى فلاة ... وفوق الفرقدين رأيت دارى

إنه يرى الدنيا وكرا للثعابين ومسكنا للحيات والأفاعى.. وهو يحلم بالعودة الى بيته فوق الفرقدين فى عنان السماء.

والى من يريد أن يقرأ المزيد عن هذا الشهاب الدامى فعليه بكتاب الدكتور يوسف زيدان مؤرخ الصوفية وعالم المخطوطات القديمة.. شعراء الصوفية المجهولون.. والكتاب طبعة دار الجيل



إصـدار بيروت.. وفيه المزيـد عن هـذه القمم الشـوامخ.. نافـورات الحب والعطر.. وينابيع التدين الصافى..

وما أحوجنا لهذه اللغة الهامسـة لهذا الدين الجامع الذى يؤلف ولا يفرق ويبشر ولا ينفر ويصالح ولا يخاصم ويداوى الجراحات ويمحو العـداوات ويؤاخى بين الأبيض والأحمر والأصفـر والأسود فلا يتفاضل فيه الناس إلا بالتقوى.

الدين الـوحيد الـذى ضم فى عباءتـه كل الأديان وجـاء ليخاطب العالمين.

ولكن هناك من لا يريـد أن يسمع صوت.. لا إله إلا الله.. ويقول إن صوت الأذان يشعره بالغربة.

فماذا نملك من أجله؟؟!!

وهل نحن مطالبون بأن نطفىء له الشمس ليرتاح..؟؟!!

تصلنى أحيانا من القراء تعليقات جادة وتساؤلات حول مقالاتى الأخيرة.. والبعض يلتقط عبارات من كتب قديمة صدرت لى منذ ثلاثين عاما محاولا أن يشهد الناس.. كيف كنت منذ ٣٥عاما كثير الشك ثم أصبحت مؤمنا.. ياله من تناقض وجريمة لاتغتفر لمفكر.. ويبدو أن المفكر الأمثل عندهم هو قطعة رخام لاتنتقل من مكانها. أو مستنقع آسن لايتجدد ماؤه . أو حياة خاملة راكدة آلية لاتتطور.

ويتصور الواحد منهم الفضيلة والذمة فى أن يكتشف الكاتب خطأه فلا يصححه ولايرجع عنه.

ويتصور الكمال فى العجرفة الفكرية والجمود والتعصب والثبات ولو على الخطأ (مادام هذا الخطأ فى صالحهم).

ولو كنت مؤمنا تحولت إلى الإلحاد لأخذونى بالأحضان. ولقالوا هذا هو المفكر الشريف بحق.. هذا هو رائد النقد الذاتى.

ولكن لما كان نقدنا لذواتنا على غير هواهم أصابهم عمى الألوان فرأوا الأبيض أسود، ورأوا الفضيلة رذيلة، والذمة خيانة.

ولقد حارب خالد بن الوليد ضد الاسلام بشراسة وأنزل الهزيمة بالمسلمين فى أحد.. ثم آمن وحمل لواء الدعوة وأصبح سيف الله المسلول، فلم يقل أحد إنه رجل متناقض بلا مبدأ.

وحارب عمر بن الخطاب الدعوة الإسلامية فى بدايتها بضراوة ثم اعتنق نفس الدين الذى سبه وسفهه وحاربه. فلم يشكك أحد فى إيمانه ولافى صدقه ولافى ذمته.

والإنسان فى شبابه مندفع بطبيعته، يؤمن بالساذج البسيط الواضح الملموس أمامه، ولهذا فهو يستريح إلى المادية والفكر المادى، لأنها لاتطالبه بشىء غير الموجود أمامه. فهى تبدأ من القريب المحسوس ولاتتجاوزه - ولاتجهد الذهن استخلاصا للحكمة من ورائه.. بل إنها لاتعتقد فى وجود حكمة.. لاشىء سوى المادة التى تتطور تلقائيا بقوانينها الجدلية الخاصة.

والمفكر المادى لايحاول حتى أن يسأل نفسه من الذى وضع فى المادة قوانينها الجدلية هذه.

وهو يرفض الدين لأنه غيبيات.

وهو نفسه غارق فى الغيبيات إلى أذنيه.

بل إن العلم نفسه الذى يتشدق به ويحتكم إليه غرق فى الغيبيات هو الآخر.

العلم يتكلم عن الالكترون على أنه حقيقة.. ولم ير أحد الالكترون.. ولانعلم عن الالكترون سوى آثاره.. أما الالكترون ذاته فهو غيب.

وبالمثل الموجة اللاسلكية لانعلم عنها إلا آثارها فى عمود

الإرسال وجهاز الاستقبال.. لم ير أحد تلك الموجة الأثيرية ولم يعرف أحد كنهها.

بل الكهرباء ذاتها هى الأخرى طاقة لاشك فيها ومع ذلك فهى مجهولة الهوية تماما.. ولانعرف عنها إلا مجموعة آثارها الظاهرة من حرارة إلى ضوء إلى حركة إلى مغناطيسية.

فإذا قلنا لهم إن الله بالمثل عرفناه بآثاره وإن هويته غيب لم يعجبهم كلامنا.

بل إن المفكر المادى يقول فى جرأة عجيبة.. «فى البدء كانت المادة ثم تطورت المادة إلى كافة صور الحياة والفكر» وكأنه كان موجودا لحظة بداية الخلق متربعا فى كرسى بلكون يتفرج على ميلاد الدنيا.

هو يتكلم عن غيب ويبدأ من غيب.. ولا يملك إلا افتراضات واحتمالات ونظريات.. ثم يتهمنا نحن بالغيبية.

وهؤلاء هم دراويش المادية لاوسيلة لإقناعهم لأنهم لايريدون اقتناعا.. وإنما هم اختاروا الجمود العقائدى وتشنجوا عليه، واستراحوا إلى مافيه من تبسيط مخل وتلخيص ساذج للحقائق الكونية..

وليس أبعث للراحة من اعتقاد الإنسان أنه لامسئولية هناك، ولابعث ولاحساب، وأن له أن يفعل مايشاء لارقيب عليه ولاحسيب سوى البوليس والمخابرات.

ومثل هذه العقيدة المادية أقرب إلى قلب الشباب المندفع الذى يريد أن ينطلق على هواه بلاضوابط، وبلامساءلة.

وليس صحيحا أن الفكر الإلحادى المادى هو الذى أعطانا حياتنا المتقدمة بما فيها من قطارات وعربات وطائرات وصواريخ وراديو وتليفزيون.. فهذه الأشياء هى عطاء العلم.. والعلم تراث



متاح للكل.. ولامذهب له.. يطلبه رجل الدين كما يطلبه رجل الفكر من يمين ويسار.

كان العلم يرفع راياته فى مصر الفرعونية الوثنية كما كان يرفع راياته فى صدر الإسلام.

العلم تراث بشرى لايستطيع أحد أن يدعى ملكيته وليس صحيحا أن الدين يناقض العلم.

وديننا يأمر بالعلم فى أول آية من القرآن **«اقرأ»**.

أمر صريح بالعلم والتعليم فى أول حرف نزلت به تعاليمنا السماوية. والعلماء عندنا هم ورثة **الأنبياء**، وهم فى القرآن فى درجة الملائكة (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم). والذى يتصور تناقضا بين الدين والعلم لايعرف **ما الدين ولا** ما العلم.. وإنما هو يريد ان يختلق لنفسه مبررا **للرفض**. وما أسهل الرفض.

ما هو الانسان..؟ !

هل هـو مجرد الصـورة التى تـراهـا لنفسك حينما تنظـر فى المرآة.

هل الانسان هو مجموع ما فيك من شحم ولحم وعظم وأحشاء ومجموع ما تتألـف منه من عناصر ومركبات ومـا ينطوى فيك من غرائز ورغبات وما يعشش فى عقلك من هواجس وخيالات.

هل هو مجموع المنظور والمحسوس والملموس فيك.

لا أظن أن هذا هو أنت.

هـذا هـو مـايظهـر لك ولى ولأجهـزة التصـويـر والاستشعـار المختلفة.. هذا هو مجرد الجانب الشهودى منك.

أما حقيقتك فهى فى «العمق» .. فى الجانب الذى يخفى عنا وعنك وعن جميع أجهزة الإستشعـار وجميع وسائل الحساب المعـروفة.. هى فى الجانـب الغيبى فيك .. فمن هـــذا الجانب يأتيك المدد لكل

مايظهر ومايتجلى فى أفعالك.. وفيه تفسير الكتاب الجامع الذى إسمه «الانسان».

الانسان يتضمن غيبا خافيا إسمه «النفس».

ونفسك كانت موجودة قبل تتلبس بجسدك وقد استدعاها الله من ظهور أجداك قبل أن يظهر لك أب وأم وقبل أن تأتى إلى رحم أمك من خلية ملقحة.

«وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى»

لقد نطقت نفسك ساعتها بدون لسان وشهدت على نفسها بدون جسد وعرفت ربها بدون مخ..

وهذا هو أنت.

ومعنى ذلك.. أنه كان لك حضور غيبى وكانت لك شخصية غيبية كما أن لك شخصية مشهودة هى التى تراها الآن..

ولاعجب فى ذلك فأنت فى الأحلام ترى بدون عينين وتتكلم بدون لسان وتسمع بدون أذن وتمشى بدون أرجل وأنت فى الأحلام تسافر إلى بلاد لم تطأها بقدمك ولم ترها بعينك فيخيل اليك أنك تعرفها من أمد بعيد.

وفى الأحلام تتحدث إليك الشياطين والملائكة.. وفى رؤى الأنبياء يكلم ربنا أنبياءه.. وفى رؤى الناس العاديين تتحدث إليهم نفوسهم الأمارة بما تشتهى.. فكل الأحلام أحاديث.. كل نفس تتحدث على مستواها.. ولهذا سماها ربنا فى القرآن «الأحاديث».. يقول ربنا ليوسف الصديق «وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث» (٦ـ يوسف) فيسمى جميع الأحلام أحاديث.

والنفس طرف مشترك فى كل تلك الأحاديث.

وهى تتحدث بدون لسان وترى بدون عين وتسمع بدون أذن.

وهى تسافر بدون مواصلات.. وتطير بدون أجنحة فترى الأم

إبنها فى أمريكا مريضا طريح الفراش.. دون أى مقدمات لهذا الخبر.. وذلك أيضا علم بدون معلم ورؤية لغيب محجوب.. فيلزم من كل هذا أن نقول أن الإنسان وجود غيبى وليس مجرد وجود مشهود وأن له نفس تستطيع أن ترى وتسمع وتتنقل بذاتها.. وذلك هو اللغز الذى اسمه «النفس».. أما الروح التى هى نفخة الله فى الطين لتقوم تلك النفس من العدم فذلك غيب آخر.. والانسان كل هذا.

ومجىء النفس بأخلاق معينة وشخصية معينة بخيرها وشرها يدل على ثبوتية اختيار لتلك النفس فى حال عدمها.. حينما كانت مجرد أحد الممكنات.. وذلك غيب ثالث أشد غموضا وأكثر إلغازا.

ولذلك يحاسب الله النفس على إجرامها وشرها لأنه لم يخلقها مجرمة ولم يجعلها شريرة وانما هى قد اختارت الشر وأضمرت الاجرام منذ الأزل.. وقبل أن يعطيها الجسد لتفعل ولاتفعل.

يقول ابن عربى « أن التشخص أزلى» وأن النفس كان لها ثبوتية وصف وثبوتية اختيار منذ الأزل حينما كانت مجرد «أحد الممكنات»

هناك إذن ثلاثة مستويات من الوجود .. مستوى عالم الامكان قبل الخلق ثم الاستدعاء الربانى للوجود.. ثم ملابسة الجسد الذى نعرفه بمواصفاته ثم النفخة التى جعلت منك ماأنت عليه.

ولانعرف من هذه المستويات إلا المستوى الجسدى.. وحتى هذا لانعلم عنه إلا القليل.. أما النفس وحالها فى عالم الامكان.. والنفس حينما استدعاها ربها وألبسها حلية الجسد.. ثم النفخة الرحمانية وأسرارها.. فكل هذا غيب مطلسم بالنسبة لنا..

وذلك حظنا القليل التافه من المعرفة لأقرب شىء إلينا.. الإنسان.

وهذه نفسك..

فكيف تدعى معرفة نفوس الآخرين.

وكيف تدعى الاحاطة بالكون.

وكيف يأخذك الغرور بعلمك فتنسى ربك الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك.

فهلا سجدت لله حياء واستغفرت.

الله ..

لايكتمل إيمان المرء حتى يدرك أن كل مايحدث له من خير وشرهو شفرة يقول بها الله شيئا وهمسة يهمس بها فى أذنه.

وإن يكن الميكروب هو الذى يُمرض فى الظاهر فان الله هو الذى أرسل الميكروب وكلفه بما فعل فى الحقيقة فلا شىء يحدث فى الكون خلسة من وراء خالق الكون .. وطفيل الملاريا فى فم البعوضة جاء مكلفا .. والسقف الذى انهار على السكان فعل ذلك بميقات معلوم وكان من الممكن أن ينهار والبيت خال من سكانه ولكنه فعلها وهم نيام فقتلهم فى ميقات معلوم ولم يقتل الرضيع فى حضن أمه لحكمة مراده .. واللبيب هو من يفهم الاشارة ويلتقط العبارة.

والمرض سجن وهو أحيانا سجن مؤقت وأحيانا سجن طويل وأحيانا سجن مؤبد .. والسجين الملهم هو الذى يعرف لماذا أصدر الله أمرا بسجنه ولماذا خفف عنه الحكم ولماذا عفا منه .. فالخلية السرطانية لاتنشط إلا بأمر من ربها ولاتتوقف إلا بأمر آخر منه .. والجينات التى تحكم الخلية هى مجرد أسباب ظاهرة.. ولايعلم أحد إلى الآن لماذا يكمن الجين وينام ولماذا يصحو ويدمر ومتى يفعل هذا ومتى يفعل ذاك؟

والمؤمن يرد كل شىء إلى مشيئة ربه ويراه ممسكا بمقاليد كل شىء ويرى بيده حركات الذرة والمجرة والفلك الأعظم ومافيه ومن

فيه.. ويراه المريد الأوحد فوق إرادات كل المريدين.. ويرى مايجرى عليه من مقادير.. رسالة خاصة.. وشفرة يخاطبه بها.. ويرى كل شر يصيبه.. فى باطنه خير.. وكل بلاء ينزل به فى مضمونه حكمة .. إن لم تظهر الآن فسوف تظهر غدا أو بعد غد.

ذلك هو الله الرحمن جل جلاله الذى قال .. سبقت رحمتى غضبى.

الكون ..

هذه الثلاثية كان لابد منها.. «الله والانسان والكون».. ليكون هناك معنى للدراما الكبرى التى تجرى حولنا والتى نقع فى محورها.. فما كان ممكنا أن يخلق الله الإنسان ويعطيه الخلافة على لاشىء.. فما دام الانسان هو أكرم ماخلق ومادام قد أعطاه علم الأسماء كلها (أى علم كل شىء) وسخر له الملائكة والجن والشياطين والشمس والقمر والنجوم فكان لابد أن تكون هناك مملكة لهذا الملك.. أرضا يسكنها وكونا يمرح فيه بعقله وبيئة يسخرها ويستغلها بعقله.. وممالك نبات وحيوان يسود عليها ويعيش على ثمراتها وطيباتها.

وطبيعيا أن يكون هذا الملك العظيم هو محل الامتحان والابتلاء.. على هذا الإنعام .. ومن قبل ذلك كان التدريب الأول فى روضة الأطفال حيما أنزله ربه فى جنة وارفه وقال له : ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولاتقربا هذه الشجرة.. كان هذا هو الدرس الأول فى الطاعة والمعصية.. وكان الله يعلم أن آدم اختار الحرية والتمرد.. وأنه سوف يأكل وسوف يطيع شيطانه.. وكان ضمن الدرس أن يتحمل المسئولية ويدفع الثمن فيطرد من جنته ومعه حواء إلى أرض الابتلاء.

كان ذلك الدرس الأول رحمة وتنبيها إلى عواقب النسيان

والغفلة والخضوع للهوى وقد أراد به وبنسله أن يذكر هذا الدرس.. لأن الخطأ سوف يتكرر والعقاب سوف يتكرر فى مسلسل التاريخ كله منذ بدأ أول مرة ربما من مليون سنة أو أكثر إلى ماشاء الله من دهور وأجيال ربما نحن الآن فى آخرها.. لنشهد ألوانا جهنمية من الشرور والمذابح والمحارق والحروب والمقابر الجماعية لألوف يقتلون وذنبهم الوحيد أنهم يقولون ربنا الله.. ونشهد فى الجانب الآخر ارتقاء مذهلا لذلك الإنسان بمواهبه وقدراته ليقتحم الفضاء ويمشى على القمر ويفلق الذرة ويطير فى صورايخ ويغوص فى غواصات ويبنى المطارات الأرضية والمحطات المدارية المعلقة فى السماء .. والمدن المستقبلة السابحة فى الفضاء.

والامتحان مستمر بل هو الآن أصعب وأشق وأخطر مما كان أيام الأكل من الشجرة فى روضة الأطفال.. والنتائج النهائية تقترب بقيامة شاملة يطوى فيها ربنا السماوات كطى السجل للكتاب.. وتكون الأرضين كلها فى قبضته.

كان لابد إذن من تلك الثلاثية.. الله والإنسان والكون.. ليتم الامتحان ثم ليصنف الناس وفق منازلهم ودرجاتهم فى عالم بلاموت نعيما بلا نهاية.. أو شقاء بلا نهاية.

وما أحسب أن هناك فلسفة أو مذهب أو نظرية استطاعت أن تقدم رؤية متكاملة ومعنى لحياتنا بمثل تلك الرؤية الدينية.

وبدون الدين وبدوة الله.. لا معنى لأى شىء.

أما العلم فإنه لايرى أبعد من حواسه وأدوات استشعاره ولايستطيع أن يفهم لأبعد من حساباته.. وبالنسبة للعلم المادى.. الله فكرة غير مطروحة.. لأن العلم المادى لايملك ميزانا أو مسطرة أو برجلا أو منظارا يستطيع أن يرى به الله جهرة أو يعرف وزنه أو مقداره.. فهو إذن غير مطروح بالنسبة للعلم وأدواته.. وربما

طرح بالنسبة لفلاسفة ماوراء الطبيعة فى شحطات من الظن والتخمين وتصورات لاتتفق بقدر ماتختلف ويكذب الواحد منها الآخر ولاتصل إلى شىء..

وإنسان العصر الذى يعيش فى دول أوروبا وأمريكا بدون إله.. يعيش حياة رخاء ووفرة ولذة وقوة.. لكنها حياة أقرب إلى الانتحار .. ذلك لأن الخواء يملأها .. واللامعنى فى صميمها.

ولو سألونى .. لماذا آمنت .. نريد منك جوابا فى كلمات .. لقلت فى يقين وبلاتردد .. لأنه بدون الله .. لامعنى لى ولا لأى شىء.

الفهـــرس

الصفحة

الانتحـــار ٥
لبنان يشتعل ١٥
إنهم يعدون للحرب ويتكلمون عن السلام ٢٩
لقد جاوز الظالمون المدى ٤١
لا .. لهذا السلام ٥٣
الولد المطيع ٦٥
الصادقة الكاذبة ٧٧
إنهم يبيعون لنا الوهم ٨٩
مسلمون كلاما ١٠٥
اللغة العبرية وأهلها ١١٥
معركة السلام ١٢٩
الغزو من الباب الخلفى ١٣٧
سمفونية الحب والفداء ١٤٩
دراويش المادية ١٥٩
الله .. الإنسان .. الكون ١٦٥

رقم الإيداع ٥٩٧٣ / ١٩٩٦

الترقيم الدولى I. S. B. N

977 - 08 - 0281 - 6

هذا الكتاب

■ الكاتب الحقيقى مثل الفيلسوف يجب أن يكون له رأيه الخاص ووجهة نظر خاصة به..

■ ود. مصطفى محمود باعتباره كاتبا وأديبا جادا وقديرا له رأيه الخاص ووجهة نظر يعبر بها فى كل ما يكتبه.. فهو مثلا يرى أن الاجتهاد واجب على كل مؤمن.. وان اغلاق باب الاجتهاد خطأ.. وانه لا يليق بالمسلم أن يغلق عقله بترباس التعصب وأن يعيش أسير الأفكار سابقة التجهيز.. وأن الاسلام فكر وحوار وتدبر وتأمل ومناقشة كل وجهات النظر.. فالاسلام دين حرية بمعنى الكلمة.

■ أما فى السياسة فإن الدكتور مصطفى محمود لا يعتقد أن اسرائيل تريد فعلا السلام مع العرب.. ويقول «إن ما يجب أن نفهمه ونعيه تماما أننا لسنا مقبلين على سلام مع اسرائيل وإنما نحن مقبلون على مواجهة.. فالواقع الذى نراه يخالف الأحلام التى تغرقنا فيها شعارات السلام»..

■ المهم.. فإن الكاتب من حقه أن يقول رأيه وما يعتقده بكل حرية.. ونحن من مسئوليتنا ومن واجبنا أن ندافع عن رأيه.. فتعدد الآراء اثراء للحركة الثقافية.. وهذه هى الحرية الفكرية التى ننشدها.

نبيل أباظة